" مُحَمَّد الْمَثَلُ الْكَامِلُ "
لِلأُسْتَاذِ: مُحَمَّدِ أَحْمَدَ جَادَ الْمَوْلَى الْبَرَدُونِيّ الْمَزَارِيّ الْمَنَاوِيّ الْمِصْرِيّ
عَرْضٌ وَنَقْدٌ

د. علي بن مُحَمَّد بن حسن العطيف

قسم مواد الإعداد العام الثقافة الإسلامية–كلية الشريعة والقانون– جامعة جازان – المملكة العربية السعودية

المُلخَص

لَقَدْ اخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُ الْمُؤَلِّفِيْنَ فِي كِتَابَةِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعُصُوْرِ، وَفِي الْعُصُوْرِ الْمُتَأَخِّرَةِ جَرَى الْتَّأْلِيْفُ عَلَى طَرِيْقَةِ الْقُدَامَى سَرْدًا لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ عَلَى حَسَبِ تَرْتِيْبِهَا الْزَّمَنِي، وَمِنَ الْمُؤَلِّفِيْنَ مَنْ رَأَى الْتَّغْيِيْرَ فِي طَرِيْقَةِ عَرْضِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيْهِ حَالُ الْنَّاسِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، لِتَصِلَ إِلَيْهِمْ أَحْدَاثُ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ بِطَرِيْقَةٍ عَصْرِيَّةٍ قَرِيْبَةٍ مِنَ الأَفْهَامِ، وَمُشَوِّقَةٍ لِلأَذْهَانِ، لِتَتَرَبَّى عَلَيْهَا الأَجْيَالِ، وَيَنْتَفِعَ بِهَا الْقَاصِي وَالْدَّانِي، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ تَحْلِيْلِ أَحْدَاثِهَا، وَرَبْطِ عَنَاصِرِهَا بَعْضُهَا بِبَعْض، فَكَانَ مِنْ ضِمْنِ مَا أُلِّفَ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ: كِتَابُ (مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ).

لَقَدْ صَنَّفَ الْمُؤَلِّفُ (الأُسْتَاذُ: مُحَمَّدُ أَحْمَدَ جَادَ الْمَوْلَى) كِتَابَهُ هَذَا عَلَى نَسَقٍ بَدِيْعٍ بَيْنَ الْكُتُبِ، وَلَعَلَّ لَهُ قَصْبُ الْسَّبْقِ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِيْنَ فِي هَذِهِ الْطَّرِيْقَةِ مِنَ الْتَّصْنِيْفِ، وَوَضَعَ كِتَابَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: "مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ. "

وَالآخَرُ: "مُحَمَّدٌ ﷺ الْخُلُقُ الْكَامِلُ".

تَنَاوَلَ فِيْهِمَا مَوَاقِفَ مِنْ حَيَاةِ الْرَّسُوْلِ ﷺ، مُنْذُ وِلاَدَتِهِ وَحَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ.

وَبَعْدَ أَنْ صَادَفَ الْكِتَابَانِ قَبُوْلاً لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ مُعَاصِرُوْهُ مِنْ قَادَةِ الْثَّقَافَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيّ وَالإِسْلاَمِيّ، وَحَظِيَا بِانْتِشَارٍ وَاسِعٍ بَدَأَ الْمُثَقَّفُوْنَ وَالْمُؤَرِّخُوْنَ يَغْزِلُوْنَ عَلَى نَسْجِهِ، وَيَقْتَفُوْنَ أَثَرَهُ فِي الْتَّأْلِيْفِ وَالْتَّصْنِيْفِ، خَاصَّةً فِي مَجَالِ الْتَّأْرِيْخِ الإِسْلاَمِيّ عُمُوْمًا، وَمَبَاحِثِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ الْشَّرِيْفَةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوْصِ.

صَدَرَ هَذَا الْكِتَابُ عَنْ عَالَمِ الْكُتُبِ، الْقَاهِرَةُ، عَامَ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، وَيَقَعُ فِي ٤٧٢ صَفْحَةٍ، فِي مُجَلَّدٍ ضَخْمٍ، وَصَدَرَتْ لَهُ إِلَى الآن أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِ طَبَعَاتٍ، وَحَقَّقَ مَبِيْعَاتٍ عَالِيَةٍ، كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ فَقَالَ: "فَلَمَّا طُبِعَ كِتَابُ" مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلِ" طَبْعَتَهُ الأُوْلَى، أَقْبَلَ الْنَّاسُ عَلَى اقْتِنَائِهِ، حَتَّى نَفِدَ مَا طُبِعَ مِنْهُ فِي أَقَلّ مِمَّا قُدِّرَ لَهُ"

وَمَنْهَجُهُ فِي كِتَابِهِ: تَحْلِيْلٌ لِشَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ وَالْهُدَى، فَنَجِدُ أَنَّهُ اتَّبَعَ الْمَنْهَجَ التَّحْلِيْلِيّ، وَالْمَنْهَجَ الْوَصْفِيّ فِي عَرْضِهِ لِلْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

الكلمات المفتاحية: مُحَمَّد ﷺ - المثل – السيرة النبوية – تحليل الأحداث – نقد النصوص - التصنيف.

مُقَدِمَةٌ :

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالْصَّلاَةُ وَالْسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالْتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْدِّيْنِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ سِيْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمُ مَا تُشْغَلُ بِهِ الأَوْقَاتِ، قِرَاءَةً، وَسَمَاعًا، وَتَدَبُّرًا، وَحِفْظًا، فَهِيَ سَلْوَةُ الْمَحْزُوْنِ، وَمُذْهِبَةُ الْهُمُوْمِ وَالْغُمُوْمِ، تَرْتَاحُ لِسَمَاعِهَا الأَرْوَاحِ، وَتَصْفُوْا بِمُنَادَمَتِهَا الْقُلُوْبُ، وَتَسْعَدُ بِذِكْرِهَا الْمَجَالِسُ، وَيَفْرَحُ بِهَا الأَنِيْسُ وَالْمُجَالِسُ.

فَلاَ عَجَبَ أَنْ يَهْتَمَّ الْمُسْلِمُوْنَ وَغَيْرِهِمْ بِسِيْرَةِ أَفْضَلِ الْخَلْقِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، فَأُلِّفَتْ فِيْهَا الْكُتُبُ عَلَى مَرِّ الأَزْمِنَةِ وَالْعُصُوْرِ، مَعَ اخْتِلاَفِ مَشَارِبِهِمْ، وَاتِّجَاهَاتِهِمْ، إِلاَّ أَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ دِلاَلَةً وَاضِحَةً عَلَى أَهَمِّيَّةِ هَذِهِ السِّيْرَةِ الْعَطِرَةِ، وَكَثْرَةِ التَّأْلِيْفِ فِيْهَا تَدْوِيْنًا لِأَحْدَاثِهَا، وَاسْتِقْصَاءً لِتَفَاصِيْلِهَا، وَجَمْعًا لِعِبَرِهَا وَفَوَائِدِهَا.

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُ الْمُؤَلِّفِيْنَ فِي كِتَابَةِ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعُصُوْرِ، وَفِي الْعُصُوْرِ الْمُتَأَخِّرَةِ جَرَى التَّأْلِيْفُ عَلَى طَرِيْقَةِ الْقُدَامَى سَرْدًا لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى حَسَبِ تَرْتِيْبِهَا الْزَّمَنِي، وَمِنَ الْمُؤَلِّفِيْنَ مَنْ رَأَى التَّغْيِيْرَ فِي طَرِيْقَةِ عَرْضِ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيْهِ حَالُ النَّاسِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، لِتَصِلَ إِلَيْهِمْ أَحْدَاثُ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِطَرِيْقَةٍ عَصْرِيَّةٍ قَرِيْبَةٍ مِنَ الأَفْهَامِ، وَمُشَوِّقَةٍ لِلأَذْهَانِ، لِتَتَرَبَّى عَلَيْهَا الأَجْيَالِ، وَيَنْتَفِعَ بِهَا الْقَاصِي وَالْدَّانِي، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ تَحْلِيْلِ أَحْدَاثِهَا، وَرَبْطِ عَنَاصِرِهَا بَعْضُهَا بِبَعْض، فَكَانَ مِنْ ضِمْنِ مَا أُلِّفَ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ: كِتَابُ (مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ).

لَقَدْ صَنَّفَ الْمُؤَلِّفُ (الأُسْتَاذُ: مُحَمَّدُ أَحْمَدَ جَادَ الْمَوْلَى) كِتَابَهُ هَذَا عَلَى نَسَقٍ بَدِيْعٍ بَيْنَ الْكُتُبِ، وَلَعَلَّ لَهُ قَصْبُ الْسَّبْقِ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِيْنَ فِي هَذِهِ الْطَّرِيْقَةِ مِنَ الْتَّصْنِيْفِ، وَوَضَعَ كِتَابَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: "مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ. "

وَالآخَرُ: "مُحَمَّدٌ ﷺ الْخُلُقُ الْكَامِلُ".

تَنَاوَلَ فِيْهِمَا مَوَاقِفَ مِنْ حَيَاةِ الْرَّسُوْلِ ﷺ، مُنْذُ وِلاَدَتِهِ وَحَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ.

وَبَعْدَ أَنْ صَادَفَ الْكِتَابَانِ قَبُوْلاً لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ مُعَاصِرُوْهُ مِنْ قَادَةِ الْثَّقَافَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيّ وَالإِسْلاَمِيّ، وَحَظِيَا بِانْتِشَارٍ وَاسِعٍ بَدَأَ الْمُثَقَّفُوْنَ وَالْمُؤَرِّخُوْنَ يَغْزِلُوْنَ عَلَى نَسْجِهِ، وَيَقْتَفُوْنَ أَثَرَهُ فِي التَّأْلِيْفِ وَالْتَّصْنِيْفِ، خَاصَّةً فِي مَجَالِ التَّأْرِيْخِ الإِسْلاَمِيّ عُمُوْمًا، وَمَبَاحِثِ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْشَّرِيْفَةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوْصِ.

■ مُشْكِلَةُ الْبَحْثِ:

هَلْ اسْتَطَاعَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يُقَرِّبَ الْسِّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ لِلأَجْيَالِ الْمُعَاصِرَةِ بِأُسْلُوْبٍ عَصْرِيّ حَدِيْثٍ، يُسَهِّلُ الْمَعْلُوْمَةَ وَيُقَرِّبُهَا، وَيُبَسِّطُ الْحَدَثَ بِشَكْلٍ صَحِيْحٍ؟

وَهَلْ اعْتَمَدَ عَلَى الْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ الْصَّحِيْحَةِ الْمَوْثُوْقَةِ؟

هَلْ تَأَثَّرَ بِالْمُسْتَشْرِقِيْنَ فِي طَرْحِهِ لِلأَحْدَاثِ، وَهَلْ تَسَاهَلَ فِي سَوْقِ النُّصُوْصِ وَالأَدِلَّةِ الْشَّرْعِيَّةِ، أَمْ أَنَّ لَهُ حِسُّ الْنَّاقِدِ الْبَصِيْرِ، وَالْكَاتِبِ الْمُتَأَمِّلِ فِي ضَوْءِ الْنُّصُوْصِ الْشَّرْعِيَّةِ الْصَّحِيْحَةِ.

■ أَهَمِّيَّةُ الْبَحْثِ:

١- تَنَاوُلُهُ لِجَنَابِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ، وَإِنَّمَا يَشْرُفُ الْعِلْمُ بِشَرَفِ صَاحِبِهِ.

٢- ضَرُوْرَةُ الْنَّقْدِ الْعِلْمِيّ الْبَنَّاءِ لِلْكُتُبِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ سِيْرَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ، لِمَعْرِفَةِ مَنَاهِجِ مُؤَلِّفِيْهَا فِيْمَا كَتَبُوْا.

٣- إِبْرَازُ جُهُوْدِ الْمُؤَلِّفِيْنَ فِي تَنَاوُلِهِمْ لِلسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَبَيَانُ الْفُرُوقِ فِي تَنَاوُلِهِمْ لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ.

٤- الْتَّعَرُّفُ عَلَى أَنْوَاعِ النَّقْدِ الْبَنَّاءِ، وَأَنَّهُ لاَ يَقْتَصِرُ عَلَى الْجَوَانِبِ الْسَّلْبِيَّةِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ الْجَوَانِبَ الإِيْجَابِيَّةِ كَذَلِكَ.

■ أَهْدَافُ الْبَحْثِ:

١- إِبْرَازُ أَهَمِّ مَعَالِمِ مَنْهَجِ الْمُؤَلِّفِ فِي كِتَابِهِ؛ مَتْنًا وَحَاشِيَةً.

٢- تَسْلِيْطُ الْضَوْءِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأَحْدَاثِ وَالْنُّصُوْصِ الْنَّظَرِيَّةِ وَالْتَّطْبِيْقِيَّةِ، وَنَقْدُهَا حَسَبَ الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيّ، وَبَيَانِ مَنَاهِجِ الْنُّقَّادِ الْكِرَامِ فِيْمَا سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ.

٣- نَشْرُ الْحَقِيْقَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِهَذَا الْكِتَابِ وَمَا هِيَ الْجَوَانِبُ الإِيْجَابِيَّةِ وَالْسَّلْبِيَّةِ فِيْهِ، وَمَا مَدَى صِحَّةُ الْمَعْلُوْمَاتِ الْمَذْكُوْرَةِ فِي الْكِتَابِ، وَأَبْرَزُ مَوَارِدِهِ.

■ **مَنْهَجُ الْبَحْثِ:**

مَنْهَجِي فِي هَذَا الْبَحْثِ يَقُومُ عَلَى الاسْتِقْرَاءِ وَالْدِّرَاسَةِ الْمَوْضُوْعِيَّةِ، وَالْتَّحْلِيْلِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ النَّقْدُ وَالْمُنَاقَشَةُ، لِلْوُصُوْلِ إِلَى النَّتَائِجِ الْمَرْجُوَّةِ، وَيَتَكَوَّنُ الْبَحْثُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ وَسِتَّةِ مَبَاحِثَ، وَخَاتِمَةٍ، وَفَهَارِس.

■ الْمُقَدِّمَةُ، وَفِيْهَا: عُنْوَانُ الْبَحْثِ، وَمُشْكِلَتُهُ، وَأَهْدَافُهُ، وَأَهَمِّيَّتُهُ، وَالْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعِ فِي كِتَابَتِهِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: الْتَّعْرِيْفُ بِالْمُؤَلِّفِ وَبِالْكِتَابِ، وَالْمُرَادُ مِنْ تَأْلِيْفِهِ.

أَوَّلاً: الْتَّعْرِيْفُ بِالْمُؤَلِّفِ

ثَانِيًا: اسْمُ الْكِتَابِ، وَمَنْهَجُهُ فيه

الْمَبْحَثُ الْثَّانِي: عَصْرُ الْمُؤَلِّفِ، وَأَثَرُهُ عَلَى تَأْلِيْفِهِ.

الْمَبْحَثُ الْثَّالِثُ: مَوَارِدُهُ الَّتِي أَخَذَ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: مَحَاسِنُ الْكِتَابِ.

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ: مَا يُؤْخَذُ عَلَى الْكِتَابِ.

الْخَاتِمَةُ، وَالْفَهَارِسُ الْفَنِّيَّةِ.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: الْتَّعْرِيْفُ بِالْمُؤَلِّفِ وَبِالْكِتَابِ، وَالْمُرَادُ مِنْ تَأْلِيْفِهِ.

أَوَّلاً: الْتَّعْرِيْفُ بِالْمُؤَلِّفِ[1]:

اسْمُ الْمُؤَلِّفِ: مُحَمَّدُ أَحْمَدُ جَادَ الْمَوْلَى (بِكْ) الْبَرَدُوْنِيّ الْمَزَارِيّ الْمَنَاوِيّ ثُمَّ الْقَاهِرِيّ الْمِصْرِيّ.

الأَدِيْبُ الْمُدَرِّسُ، بَاحِثٌ مِصْرِيٌّ وَكَاتِبٌ إِسْلاَمِيٌّ وَمُؤَرِّخٌ اجْتِمَاعِيٌّ.

(مُدَرِّسُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) وَ(عَمِيْدُ تَفْتِيْشِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْدِّيْنِ):

(١٣٠٠- ١٣٦٣ هـ = ١٨٨٣- ١٩٤٤ م)، وُلِدَ فِي بَرْدُوْنَةِ الأَشْرَافِ[2] مَرْكِزِ بَنِي مَزَار بِمُحَافَظَةِ الْمِنْيَا فِي مِصْرَ فَتَعَلَّمَ فِي الْكُتَّابِ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيْمَ دُوْنَ الْعَاشِرَةِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ لِيَدْرُسَ فِي الأَزْهَرِ الْشَّرِيْفِ، فَتَفَوَّقَ وَاخْتِيْرَ لِلْدِّرَاسَةِ بِدَارِ الْعُلُوْمِ حَيْثُ أَتَمَّ دُبْلُوْمَ الْدَّارِ بِامْتِيَازٍ، وَابْتَدَأَ حَيَاتَهُ مُدَرِّسًا.

أَوْفَدَتْهُ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ عَامَ ١٩٠٧م لِلْدِّرَاسَةِ فِي إِنْجِلْتِرَا حَيْثُ نَالَ شَهَادَةَ الْدُّبْلُوْمِ فِي الْتَّرْبِيَةِ بِامْتِيَازٍ مِنْ جَامِعَةِ رَيْدِنْج.

عُيِّنَ بِوَظِيْفَةِ أُسْتَاذٍ مُسَاعِدٍ لِلْعَرَبِيَّةِ فِي جَامِعَةِ أَكْسفُوْرد لِمُدَّةِ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ.

دَرَسَ أَثْنَاءَ عَمَلِهِ بِإِنْجِلْتِرَا وَنَالَ شَهَادَةً فِي الْجُغْرَافِيَا مِنْ جَامِعَةِ أَكْسفُوْرد سَنَةَ ١٩١٠- ١٩١٣م.

عَادَ إِلَى مِصْرَ عَامَ ١٩١٣م، فَعُيِّنَ بِالْتَّرْجَمَةِ بِوِزَارَةِ الأَشْغَالِ لِثَلاَثِ سَنَوَاتٍ، وَدَرَسَ الأَخْلاَقَ بِقِسْمِ الْتَّخَصُّصِ فِي كُلِّيَّةِ أُصُوْلِ الْدِّيْنِ بِالْجَامِعِ الأَزْهَرِ.

فِي عَامِ ١٩١٦م اخْتِيْرَ لِلْعَمَلِ بِالْدِّيْوَانِ الْعَالِي الْسُّلْطَانِي وَمُنِحَ لَقَب " بك ".

وَفِي عَامِ ١٩٢٢م عُيِّنَ مُفَتِّشًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِوَزَارَةِ الْمَعَارِفِ بَعْدَ أَنْ مُنِحَ نِيْشَان " الْنِّيْل ".

وَفِي عَامِ ١٩٣٤م عُيِّنَ مُرَاقِبًا عَامًّا لِمَجْمَعِ فُؤَادٍ الأَوَّلِ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِسَنَتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ كَمُفَتِّشٍ أَوَّل.

وَفِي عَامِ ١٩٣٨م عُيِّنَ عُضْوًا بِالْمَجْمَعِ الأَعْلَى لِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ. بَقِيَ يَعْمَلُ فِي وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ كَمُفَتِّشٍ أَوَّل، فَمُرَاقِبًا لِلْمَجْمَعِ الْلُّغَوِيّ، وَمَرِضَ يَوْمَيْنِ، وَتُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ، عَامَ ١٣٦٣ هـ الْمُوَافِق ٨ فبراير ١٩٤٤م.

قَالَ الْدُّكْتُوْر: زَكِي مُبَارَك[3]:

"كَانَ جَادُ الْمَوْلَى بِكْ فِي طَلِيْعَةِ إِخْوَانِهِ بِدَارِ الْعُلُوْمِ، فَأَوْفَدَتْهُ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ إِلَى إِنْجِلْتَرَا فِي بِعْثَةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَحِيْنَ عَادَ أُعْجِبَ بِهِ "حَسَنُ بَاشَا عَبْدِ الْرَّزَّاقِ" فَاقْتَرَحَ عَلَى "حُسَيْنٍ كَامِل" مَنْحَهُ رُتْبَةَ الْبَكَوِيَّةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْرُّتْبَةِ لاَ تُمْنَحُ لِلشُّبَّانِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَالَهَا بِفَضْلِ تَفَوُّقِهِ وَهُوَ فِي عُنْفُوَانِ الْشَّبَابِ.

ثُمَّ رَأَى أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَى الْجُمْهُوْرِ فَأَلْقَى مُحَاضَرَتَيْنِ عَلَنِيَّتَيْنِ عَنِ الْغَزَالِي وَابْنِ خَلْدُون، فَكَانَ غَايَةً فِي الْفَهْمِ لابْتِكَارَاتِ هَذَيْنِ الْفَيْلَسُوْفَيْنِ الْعَظِيْمَيْنِ.

وَفِي سَنَةِ (١٩٢٤م) أَرْسَلَتْ إِدَارَةُ الْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ خِطَابًا إِلَى وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ تَدْعُوْهَا فِيْهِ إِلَى تَكْلِيْف أَحَدِ رِجَالِهَا الاشْتِرَاكَ فِي لَجْنَةِ امْتِحَانِ الْدُّكْتُوْرَاه فِي الْفَلْسَفَةِ بِجَانِبِ الأُسْتَاذِ: "عَبْدُه بِك خَيْر الْدِّيْن"، وَكَانَ وَكِيلُ الْمَعَارِفِ حِيْنَذَاكَ "عَاطِف بَاشَا بَرَكَات"، فَاخْتَارَ جَادَ الْمَوْلَى بِكْ، وَلِهَذَا الاخْتِيَارِ قِيْمَةٌ نَفِيْسَةٌ، فَقَدْ كَانَ عَاطِفُ بَاشَا مِنْ أَعْرَفِ الْنَّاسِ بِأَقْدَارِ الْرِّجَالِ.

كَانَ جَادُ الْمَوْلَى بِكْ غَايَةً فِي الْذَّكَاءِ وَالْنَّبَاهِي، لاَ أَذْكُر أَنَّ مُشْكِلَةً غَابَتْ عَنْهُ فَهُمَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْصَّحِيْحِ، وَلاَ أَذْكُر أَنَّهُ أَخْطَأَ الْفَهْمَ لِشَأْنٍ مِنَ الْشُّؤُوْنِ.

كَانَ يَثِقُ بِي فَيُحَدِّثُنِي عَنْ آرَائِهِ فِي الْمُجْتَمَعِ، فَأَرَى لَهُ مَذَاهِبَ مِنَ الْفِكْرِ تَغِيْبُ عَنْ أَكْثَرِ الْرِّجَالِ.

وَعِنْدَمَا بَلَغَ جَادُ الْمَوْلَى بِكْ سِنَّ الْتَّقَاعُدِ، رَأَى مَعَالِي "الْهِلاَلِي بَاشَا" أَنْ يَقْتَرِحَ عَلَى مَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ مَدّ خِدْمَتِهِ سَنَتَيْنِ، لِلانْتِفَاعِ بِخِبْرَتِهِ الْتَّعْلِيْمِيَّةِ فَبَالَغَ جَادُ الْمَوْلَى بِكْ فِي نَشَاطِهِ لِيُؤَيِّدَ حَقَّهُ فِي ثِقَةِ ذَلِكَ الْوَزِيْرِ الْجَلِيْلِ، وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الأُسْبُوْعِ الأَخِيْرِ مِنْ شَهْرِ أَغُسْطُس كُنْتُ بِحَضْرَةِ "الْهِلاَلِي بَاشَا" فِي مَكْتَبِهِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، لأُحَدِّثَهُ فِي شُؤُوْنٍ تَسْتَوْجِبُ لِقَاءَهُ هُنَاكَ، وَفِي أَثْنَاءِ الْحَدِيْثِ صَلْصَلَ تِلِيفُوْنِ الْمَعَارِفِ بِالْقَاهِرَةِ لِيَقُوْلَ الْوَزِيْرُ لِلْوَكِيْلِ مَا نَصُّهُ بِالْحَرْفِ: (يَجِبُ أَنْ تَنْثَنِي حَرَكَةُ الْتَّنَقُّلاَتِ قَبْلَ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ سِبْتَمْبَر، لِيَعْرِفَ الْمُدَرِّسُوْنَ إِلَى أَيْنَ يَتَوَجَّهُوْنَ)، وَعِنْدَ رُجُوْعِي إِلَى

(١) انظر: الأعلام ٢٣/٦. مجلة الرسالة العدد (٥٥٥)، ومجلة المنار (١٤١/٣٣).

(٢) قرية بردونة الأشراف: هي إحدى القرى التابعة لمركز بني مزار بمحافظة المنيا في جمهورية مصر العربية. حسب إحصاءات سنة ٢٠٠٦، بلغ إجمالي السكان في بردونة الأشراف ٣٢٤٤ نسمة، منهم ١٧٧٤ رجل و١٤٧٠ امرأة.
انظر: ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wik

(٣) مجلة الرسالة/العدد ٥٥٥/ محمد أحمد جاد المولى.

الْقَاهِرَةِ رَأَيْتُ مِنَ الأَمَانَةِ أَنْ أُبَلِّغَ جَادَ الْمَوْلَى بِكْ مَا سَمِعْتُ فَطَلَبَ جَمِيْعَ مُعَاوِنِيْهِ مِن إِجَازَاتِهِمْ بِالْبَرْقِيَّاتِ لِيُنْجِزَ حَرَكَةَ التَّنَقُّلاَتِ بِأَسْرَعَ مَا يُسْتَطَاعُ، وَالَّذِي يَعْرِفُ أَنَّ مَتَاعِبَ مُدَرِّسِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَيْسَ لَهَا حُدُوْدٌ فَكَانَ ضَغْطُ الدَّمِ قَاتِلُ جَادِ الْمَوْلَى بِكْ ".

وَقَدْ أَلَّفَ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ مِنْهَا:

- دُسْتُورُ الأُفْرَادِ وَالأُمَمِ فِي سُنَنِ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ.
- مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلِ.
- عَظَمَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ (تُرْجِمَ إِلَى الْفَارِسِيَّةِ).
- مُحَمَّدٌ ﷺ الْخُلُقُ الْكَامِلِ.
- انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مُعْجِزَةٌ لِسَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ.
- أَبُوْ بَكْرٍ الْصِّدِّيْق ﷺ
- عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ
- إِنْصَافُ عُثْمَانَ ﷺ
- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ
- أَيَّامُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
- الأَخْلاَقُ وَالْفَضَائِلُ الإِسْلاَمِيَّةِ.
- مُهَذَّبُ حُمَاةِ الإِسْلاَمِ.
- الْقُرْآنُ الْكَرِيْمِ وَأَثَرُهُ فِي اللُّغَةِ وَالتِّيْنِ وَالاجْتِمَاعِ (مُؤْتَمَرُ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ عَامَ ١٩٢٨م).
- الْقُرْآنُ الْكَرِيْمِ وَالتِّيْنُ وَالتَّهْذِيْبُ.
- الْقُرْآنُ الْكَرِيْمِ وَالْحَدِيْثُ.
- أَدَبُ الإِسْلاَمِ.
- الْمَرْأَةُ فِي الإِسْلاَمِ.
- دَعْوَةٌ إِلَى الإِيْمَانِ.
- قَصَصُ الْقُرْآنِ (بالاشْتِرَاكِ مَعَ مُحَمَّدٍ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيْمِ)
- قَصَصُ الْعَرَبِ (بالاشْتِرَاكِ)، أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ.
- أَيَّامُ الْعَرَبِ (بالاشْتِرَاكِ).
- مُهَذَّبُ رِحْلَةِ ابْنِ بَطُّوْطَةَ (بالاشْتِرَاكِ).
- تَهْذِيْبُ الْمُزْهِرِ لِلسُّيُوْطِي (بالاشْتِرَاكِ).
- الْمَنْطِقُ الْمُشَجَّرِ (بالاشْتِرَاكِ).
- الْبِدَايَةُ فِي التَّهَجِّي وَالْمُطَالَعَةِ.
- الْمُطَالَعَةُ التَّوْجِيْهِيَّةِ.
- قَوَاعِدُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.
- التَّوْجِيْهُ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيّ.
- الْكَنْزُ فِي الأَخْلاَقِ.
- الْذَّخِيْرَةُ فِي شَرْحِ النُّصُوْصِ الأَدَبِيَّةِ وَالْمَحْفُوْظَاتِ.
- الْمُنْجِدُ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيّ وَتَأْرِيْخِهِ.
- مُلَخَّصُ الْذَّخِيْرَةِ وَالْمُنْجِدِ.

ثَانِيًا: اسْمُ الْكِتَابِ، وَمَنْهَجُهُ فيه:

اسْمُ الْكِتَابِ: (مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ)

صَدَرَ هَذَا الْكِتَابُ عَنْ عَالَمِ الْكُتُبِ، الْقَاهِرَةُ، عَامَ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وَيَقَعُ فِي ٤٧٢ صَفْحَةٍ، فِي مُجَلَّدٍ ضَخْمٍ، وَصَدَرَتْ لَهُ إِلَى الآن أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِ طَبَعَاتٍ، وَحَقَّقَ مَبِيْعَاتٍ عَالِيَةٍ، كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ فَقَالَ: "فَلَمَّا طُبِعَ كِتَابُ" مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلِ" طَبْعَتَهُ الأُوْلَى، أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى اقْتِنَائِهِ، حَتَّى نَفِدَ مَا طُبِعَ مِنْهُ فِي أَقَلّ مِمَّا قُدِّرَ لَهُ"[1].

لَقَدْ جَرَتْ طَرِيْقَةُ الْمُؤَلِّفِيْنَ فِي التَّأْلِيْفِ فِي بِدَايَةِ عَصْرِ الْمُؤَلِّفِ عَلَى مِنْوَالِ كُتُبِ الأَقْدَمِيْنَ، وَكَانَتْ طَرِيْقَتُهُمْ فِي عَرْضِ السِّيْرَةِ لاَ تَخْتَلِفُ كَثِيْرًا عَنْ طَرِيْقَةِ الأَقْدَمِيْنَ فِي الْعَرْضِ، وَطَرِيْقَةُ التَّنَاوُلِ وَالْمُعَالَجَةِ.

وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ حَتَّى الْعِقْدِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِيْنِ، خَاصَّةً بَعْدَ الْهَجْمَةِ الشَّرِسَةِ مِنَ الْمُنَصِّرِيْنَ عَلَى بِلاَدِ الْشَّرْقِ الإِسْلاَمِي، هَذِهِ الْهَجْمَةُ الَّتِي أَشْعَلَتْ حَمَاسَ الْدُّعَاةِ وَالْمُفَكِّرِيْنَ وَالْكُتَّابِ وَالأُدَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ.

لَقَدْ بَلَغَتْ هَذِهِ المدْرَسَةُ أَوْجَ عَظَمَتِهَا، وَقِمَّةَ عَطَائِهَا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ عَلَى يَدِ كَوْكَبَةٍ عَظِيْمَةٍ مِنَ الأُدَبَاءِ انْكَبُّوْا عَلَى كِتَابَةِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِشَكْلٍ أَدَبِيّ، وَتَبَارَى الأُدَبَاءُ وَتَمَايَزَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَنِ الآخَرِ، حَسَبَ أَدَبِهِ وَأُسْلُوْبِهِ وَثَقَافَتِهِ، فَأَبْرَزُوْا جَوَانِبَ عَظَمَةِ النَّبِيّ ﷺ فِي الْبَلاَغَةِ وَالْبَيَانِ بِأُسْلُوْبٍ سَاحِرٍ أَخَّاذٍ.

وَسَاعَدَ عَلَى ذَلِكَ رَوَاجُ حَرَكَةِ التَّأْلِيْفِ وَالتَّحْقِيْقِ وَالْشَّرْحِ وَالتَّصْحِيْحِ فِي شَتَّى جَوَانِبِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتَّرْكِيْزِ عَلَى الْجَوَانِبِ الَّتِي تَمَّ إِهْمَالُهَا فِي عَصْرِ الانْحِطَاطِ الْفِكْرِيّ وَالْخُمُوْلِ الرُّوْحِيّ.

وَمِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ أَنَّهَا أَبْرَزَتْ جَوَانِبَ عَظَمَةِ النَّبِيّ ﷺ فِي الْبَلاَغَةِ وَالْبَيَانِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ مَنْ يُمَثِّلُ هَذِهِ المدْرَسَةِ: مُحَمَّدُ جَادَ الْمَوْلَى وَكِتَابُهُ: "مُحَمَّدٌ الْمَثَلُ الْكَامِلُ" بِاعْتِبَارِهِ الْرَّائِدِ الأَوَّلِ، وَصَاحِبِ اللِّوَاءِ الَّذِي اقْتَحَمَ حَلُوْكَةَ الْظَّلاَمِ، وَأَضَاءَ مِصْبَاحَهُ الْمُتَبَلِّجِ جَنَبَاتِ الْمَيْدَانِ، فَهَرَعَ مَنْ خَلْفَهُ مُهْتَدِيْنَ بِمِصْبَاحِهِ.

يَقُوْلُ الْمُؤَلِّفُ عَنْ سِفْرِهِ الْمُبَارَكِ هَذَا[2]: "... وَلَيْسَتْ طَرِيْقَةُ هَذَا الْكِتَابِ بِسَبِيْلٍ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ مَنْ أَلَّفُوْا فِي الْسِّيْرَةِ، عَلَى تَبَايُنِ كُتُبِهِمُ الْكَثِيْرَةِ، فَهُمْ إِنَّمَا يُؤَرِّخُوْنَ حَيَاتَهُ الْشَّرِيْفَةَ بِحَسَبِ زَمَانِهَا، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنَ الْوَقَائِعِ وَدَوَرَانِهَا؛ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ أَنْ أَعْدِلَ عَنْ ذَلِكَ إِلَى طَرِيْقَةٍ أُخْرَى، يُضْبِحُ التَّفْعُ بِهَا أَتَمّ، وَالْفَائِدَةُ مِنْهَا أَيْسَرَ، وَالْجِدَةُ فِيْهَا أَظْهَرَ، وَذَلِكَ أَنِّي عَقَدْتُ الْكِتَابَ أَبْوَابًا، وَخَصَّصْتُ كُلَّ بَابٍ مِنْهَا بِشَأْنٍ مِنْ عِظَامِ الْشُّؤُوْنِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا حَيَاةُ الْرَّسُوْلِ ﷺ أَوْ أَسْفَرَتْ عَنْهَا جُمُوْدُهُ الْفَذَّةِ فِي بَثِ الْدَّعْوَةِ، وَإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ. وَقَدْ جَعَلْتُ مِنْ هَمِّي فِي هَذِهِ الأَبْوَابِ أَنْ أُدِيرَ الْحَدِيْثَ فِي كَثِيْرٍ مِنْ

(١) خلاصة مقدمة الطبعة الثانية.

(٢) ص: ٢٧.

خَصَائِصِ الإِسْلاَمِ، وَأُفَصِّلَ الْقَوْلَ فِي سِيَاسَةِ هَذِهِ الشَّرِيْعَةِ الْغَرَّاءِ فِي إِصْلاَحِ الْبَشَرِ، وَلاَ سِيَّمَا الْمَسَائِلَ الَّتِي تَثُوْرُ فِيْهَا عُجَاجَةُ الْبَحْثِ فِي هَذَا الزَّمَنِ، وَالشُّبُهَاتِ الَّتِي تَتَقَاذَفُهَا أَقْلاَمُ الْمُعَاصِرِيْنَ مِنَ الْكُتَّابِ..".

وَلَعَلَّ الْمُؤَلِّفَ أَلْمَحَ إِلَى هَدَفِهِ مِنْ تَأْلِيْفِهِ لِكِتَابِهِ؛ إِذْ يَقُوْلُ[(١)]: "... وَكَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ مَلْأَى بِالْمُثُلِ الصَّالِحَةِ الْكَفِيْلَةِ بِتَقْوِيْمِ أَخْلاَقِ بَنِي الإِنْسَانِ جَمِيْعِهَا، وَلِذَلِكَ كَانَ مَثَلاً كَامِلاً لِلإِنْسَانِ، اجْتَمَعَتْ فِي الْفَضَائِلِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ وَغَيْرِهِمْ...".

وَيُشِيْرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: "لاَ جَرَمَ أَنَّ حَضَارَةَ هَذَا الْعَصْرِ صَائِرَةٌ إِلَى مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْحَضَارَاتُ الْغَابِرَةُ، وَحِيْنَئِذٍ يَلْتَمِسُ أَهْلُهَا نُوْرًا يَخْرُجُوْنَ بِهِ مِنْ حِيْرَتِهِمْ وَظُلْمَتِهِمْ فَلاَ يَجِدُوْنَ سِوَى دِيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ..."[(٢)].

وَهَذَا يَتَّضِحُ أَيْضًا مِنْ عُنْوَانِ الْكِتَابِ؛ إِذْ أَنَّهُ يَلْمَحُ إِلَى أَنَّ هَدَفَهُ عَرْضٌ لِبَعْضِ أَحْدَاثِ السِّيْرَةِ، الَّتِي يَسْتَنِيْرُ بِهَا الْقَارِئُ، وَيَنْتَفِعُ بِهَا لِمُعَالَجَةِ الْخَلَلِ الَّذِي وَقَعَ فِيْهِ، بِسَبَبِ بُعْدِهِ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَنْهَجُهُ فِي كِتَابِهِ:

تَحْلِيْلٌ لِشَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ وَالْهُدَى، فَنَجِدُ أَنَّهُ اتَّبَعَ **الْمَنْهَجَ التَّحْلِيْلِيّ، وَالْمَنْهَجَ الْوَصْفِيّ** فِي عَرْضِهِ لِلْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَهُوَ يَعْتَمِدُ عَلَى دِرَاسَةِ الظَّاهِرَةِ أَوِ الْمُعْجِزَةِ، أَو نُصُوْصِ السِّيْرَةِ، كَمَا هِيَ فِي الْوَاقِعِ، وَيَهْتَمُّ بِوَصْفِهَا وَصْفًا دَقِيْقًا، وَيُعَبِّرُ عَنْهَا كَيْفِيًّا بِوَصْفِهَا وَتَوْضِيْحِ خَصَائِصِهَا، وَمِقْدَارِ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ وَالنُّصُوْصِ أَوْ حَجْمِهَا أَوْ دَرَجَةِ ارْتِبَاطِهَا مَعَ الظَّوَاهِرِ الأُخْرَى، فَمَثَلاً فِي حَدِيْثِهِ عَنْ: **قَضِيَّةِ الرِّقِّ فِي الإِسْلاَمِ**[(٣)]:

بَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ أَنَّ الرِّقَّ كَانَ مَوْجُوْدًا مُنْذُ الْقِدَمِ عِنْدَ مُعْظَمِ الأُمَمِ، فَرَصَدَ الظَّاهِرَةَ **وَحَلَّلَهَا**، مُبَيِّنًا الاخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ فِي أَخْلاَقِهِمْ وَتَعَامُلِهِمْ مَعَ الرِّقِيْقِ، **ثُمَّ وَصَفَ** حَالَ الإِسْلاَمِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الرِّقِيْقِ، فَقَدْ أَعْطَاهُ مِنَ الْحُقُوْقِ مَالَمْ تُعْطِهِ حَتَّى الأُمَمُ الْمُدَّعِيَةِ لِلْحَضَارَةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ، وَمِقْدَارُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَالنُّصُوْصِ النَّبَوِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِيْهَا، وَحَجْمِهَا وَدَرَجَةِ ارْتِبَاطِهَا مَعَ الظَّوَاهِرِ الأُخْرَى الْمَوْجُوْدَةِ فِي الأَزْمَانِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْمُتَأَخِّرَةِ.

وَتَمَيَّزَ الْكِتَابُ بِحُسْنِ الأُسْلُوْبِ، وَجَمَالِ الْعِبَارَةِ، وَدِقَّةِ التَّصْوِيْرِ، وَجَوْدَةِ الْوَصْفِ...

وَيَظْهَرُ هَذَا مِن أَوَّلِ نَظْرَةٍ لِمُحْتَوَيَاتِ الْكِتَابِ؛ فَقَدْ قَسَّمَ كِتَابَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: سَارَ فِيْهِ عَلَى الْمَنْهَجِ التَّحْلِيْلِيِّ لِلْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ هَذَا الْقِسْمُ مُعْظَمَ الْكِتَابِ، وَاسْتَغْرَقَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: سَارَ فِيْهِ عَلَى الْمَنْهَجِ الْوَصْفِيّ، وَعَرَضَ حَوَادِثَ السِّيْرَةِ الْمُبَارَكَةِ بِإِيْجَازٍ، وَاسْتَغْرَقَ سِتَّةَ أَبْوَابٍ، مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ مِنَ الْبَابِ الثَّامِنِ إِلَى آخِرِ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ، وَهُوَ الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَر (مُوْجَزُ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ).

أَمَّا مُحْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ: فَتَدْخُلُ (مُحْتَوَيَاتِ الْكِتَابِ) بَعْدَ الْمُقَدِّمَةِ فِي ثَلاَثَةَ عَشَرَ بابًا:

الْبَابُ الأَوَّلُ: إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ تُرَدُّ الْفَضَائِلُ جَمِيْعًا. (جَمَعَ فِيْهِ فَضَائِلَ النَّبِيِّ ﷺ الذَّاتِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ).

وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْبَابُ فَضَائِلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوْلِدَهُ، وَشَرَفَ نَسَبِهِ، وَحُسْنَ نَشْأَتِهِ، وَطَرِيْقَتَهُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ.

الْبَابُ الثَّانِي: مُحَمَّدٌ ﷺ بَيْنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: الأَسْبَابُ الاجْتِمَاعِيَّةُ وَالاقْتِصَادِيَّةُ الَّتِي اقْتَضَتْ بِعْثَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدْ تَضَمَّنَ: حَالَ الْفُرْسِ وَالرُّوْمِ والأُمَمِ الأُخْرَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَالِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: مَرَاحِلُ حُصُوْلِ النُّبُوَّةِ وَاسْتِقْرَارُهَا.

وَذَكَرَ فِيْهَا: ثَمَانَ مَرَاحِل، هِيَ:

(النَّذِيْرُ وَالْبَشِيْرُ بِقُرْبِ النُّبُوَّةِ، حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءَ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، يَسْمَعُ حِسَّ الْمَلَكِ عليه السلام وَلاَ يَرَى شَخْصَهُ، نُزُوْلُ الْوَحْيِ، أَمْرُهُ بِالإِنْذَارِ، أَمْرُهُ بِتَعْمِيْمِ الإِنْذَارِ بَعْدَ خُصُوْصِهِ، تَشْرِيْعُ الطَّهَارَةِ وَالصَّلاَةِ).

الْبَابُ الْخَامِسُ: الأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ. وَقَسَّمَ فِيْهِ الدَّلاَئِلَ إِلَى: عَقْلِيَّةٍ وَنَقْلِيَّةٍ.

حَيْثُ ضَمَّنَهُ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَضَائِلَهُ، الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ.

الْبَابُ السَّادِسُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَقْوَى النَّاسِ حُجَّةً وَأَوْضَحُهُمْ دَلِيْلاً.

وَقَدْ ضَمَّنَهُ مَزَايَا دِيْنِ الإِسْلاَمِ الْعَظِيْمِ، وَأَسْبَابَ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِهِ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ - وَالرِّقِّ فِي الإِسْلاَمِ وَفِي الأُمَمِ الأُخْرَى، وَأَوْرَدَ فِيْهِ جُمْلَةً مِنْ مَقَاصِدِ الإِسْلاَمِ الْعَظِيْمَةِ عَلَى وَجْهٍ حَسَنٍ.

الْبَابُ السَّابِعُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَكْبَرُ الْمُصْلِحِيْنَ نَجَاحًا.

وَذَكَرَ فِيْهِ: نَجَاحَهُ الاجْتِمَاعِيّ، وَالْخُلُقِيّ، وَالسِّيَاسِيّ.

وَضَمَّنَهُ الْمُعَاهَدَاتِ، وَاسْتِقْبَالَ الْوُفُوْدِ، وَمُرَاسَلاَتِهِ لِلْمُلُوْكِ، وَنَجَاحَهُ فِي حُرُوْبِهِ ﷺ.

الْبَابُ الثَّامِنُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَوْفَى الأَنْبِيَاءِ دِيْنًا.

وَذَكَرَ فِيْهِ اثْنَي عَشَرَ مَقْصِدًا، هِيَ: (إِعْدَادُ الْفَرْدِ فِي ذَاتِهِ) (إِعْدَادُ الْفَرْدِ لِيَكُوْنَ عُضْوًا نَافِعًا فِي الْمُجْتَمَعِ) (إِصْلاَحُ الْمُجْتَمَعِ) (مَقْتُ الْبَطَالَةِ وَوُجُوْبُ الْعَمَلِ) (حُسْنُ الْمُعَامَلَةِ) (إِقَامَةُ الْعَدْلِ وَمَحْقُ

(١) ص: ٥٠.
(٢) ص: ٧١.
(٣) (ص ١٩٦- ٢١١).

الْظُّلْمِ) (تَعْمِيمُ الْوِحْدَةِ الأَخَوِيَّةِ) (وِحْدَةُ الْرِيَاسَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ) (طَلَبُ الْخَيْرِ لِجَمِيْعِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلاَفِ أَدْيَانِهِمْ) (النَّنْوِيْهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ) (إِقْرَارُ أَنَّ النَّاسَ طَبَقَاتٍ وَمَنَازِلَ) (إِصْلاَحُ الْمُجْتَمَعِ إِصْلاحًا شَامِلاً).

الْبَابُ التَّاسِعُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَشْرَفُ الْخَلْقِ.

وَذَكَرَ فِيْهِ اثْنَي عَشَر خِصْلَةٍ مِمَّا خَصَّهُ اللهُ بِهَا، جَعَلَتْهُ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَأَرْفَعَ النَّاسِ دَرَجَةً، وَأَقْرَبَهُمْ زُلْفَى، وَأَكْرَمَهُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

الْبَابُ الْعَاشِرُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَجْدَرُ النَّاسِ بِالإِيْمَانِ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ.

ذَكَرَ فِيْهِ أُمُوْرًا مُهِمَّةً لِلْغَايَةِ، مِنْهَا:

وُجُوْبُ الإِيْمَانِ بِهِ، وَجُوْبُ طَاعَتِهِ، وَجُوْبُ مَحَبَّتِهِ، دَرَجَاتُ النَّاسِ فِي مَحَبَّتِهِ، ثُمَّ خَتَمَ هَذَا الْبَابَ بِأَمَارَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ، وَذَكَرَ فِيْهَا ثَمَانَ نِقَاطٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا فِي فِقْهِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ ﷺ.

الْبَابُ الْحَادِي عَشَر: مُحَمَّدٌ ﷺ أَوْفَى مُظْهِرٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ.

وَفِيْهِ أَرْبَعَةُ أَضْرُبٍ: (فَضَائِلُ ذَاتِيَّةٌ) (فَضَائِلُ اجْتِمَاعِيَّةٌ) (زَوَاجِرُ ذَاتِيَّةٌ) (زَوَاجِرُ اجْتِمَاعِيَّةٌ).

الْبَابُ الثَّانِي عَشَر: إِدْحَاضُ مُفْتَرَيَاتِ بَعْضِ الْمُفْتَرِيْنَ عَلَى الْمَعْصُوْمِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِيْنَ.

وَفِيْهِ ذَكَرَ سِتَّ مُفْتَرَيَاتٍ، قَامَ بِالْرَّدِّ عَلَيْهَا، وَبَيَّنَ تَهَافُتَهَا.

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَر: مُوْجَزُ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ مَسَائِلُ مُهِمَّةٍ مُفَصَّلَةٌ أَحْسَنَ التَّفْصِيْلِ بِأُسْلُوْبٍ فَصِيْحٍ لاَ تَجِدُهَا مُسْتَوْفَاةً فِي كُتُبِ السِّيْرَةِ الْمُطَوَّلاَتِ، وَمَا يُوْجَدُ فِيْهَا يَعْسُرُ اسْتِخْرَاجُهُ مِنْهَا عَلَى أَكْثَرِ الْقُرَّاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَهُوَ قَدْ اسْتَخْرَجَ الزُّبَدَ مِنْ تِلْكَ الأَلْبَانِ الرَّوْحَانِيَّةِ الَّتِي لاَ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهَا، وَالْعَسَلَ الْمُصَفَّى مِنْ تِلْكَ الْثِّمَارِ النَّبَوِيَّةِ الْشَّهِيَّةِ الْبَالِغَةِ، بِبَيَانٍ تَلَذُّ قِرَاءَتِهِ جَمِيْعَ النَّاسِ، وَتُفِيْدُ جَمِيْعَ الْقَارِئِيْنَ.

فَنَجِدُهُ يَتَكَلَّمُ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِهِ عَنْ خُلُقٍ رَفِيْعٍ، وَعَمَلٍ جَلِيْلٍ، تَحْتَاجُهُ الأُمَّةُ مِنْ خِلاَلِ عَرْضِهِ لِسِيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَدَفُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ فِي عَصْرِهِ أَنَّ دِيْنَ الإِسْلاَمِ دِيْنٌ وَاحِدٌ فِي الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ.

وَنَجِدُهُ وَظَّفَ نُصُوْصَ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِبَيَانِ رَكَائِزِ الْدِّيْنِ الْقَوِيْمِ؛ فَعَلَى سَبِيْلِ الْمِثَالِ فِي الْبَابِ الْسَّابِعِ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ، الْمَقْصِدُ الأَوَّلُ - إِعْدَادُ الْفَرْدِ فِي ذَاتِهِ – (ص١٤٣ وَمَا بَعْدَهَا) تَكَلَّمَ عَنْ أَمْرَيْنِ هُمَا:

١- غَرْسُ الْعَقِيْدَةِ الْصَّحِيْحَةِ.

٢- تَجْمِيْلُ ظَاهِرِهِ وَتَهْذِيْبُ طَبَائِعِهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَهَذَانِ الأَمْرَانِ هُمَا الْثَّمَرَةُ الأَصِيْلَةُ لِدِرَاسَةِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ ذَلِكَ يَتَّضِحُ وُضُوْحًا جَلِيًّا مِنَ النَّظَرِ فِي حَالِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ وَدَعْوَتِهِ لَهُمْ إِلَى تَوْحِيْدِ اللهِ، وَمَا عَانَاهُ فِي سَبِيْلِ ذَلِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَمَا كَانَ يَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْصَّبْرِ وَالْتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَزَرْعِ الْثِّقَةِ فِي قُلُوْبِهِمْ بِنَصْرِ اللهِ.

وَكَذَلِكَ بِالْنَّظَرِ فِي عِبَادَتِهِ ﷺ وَكَذَا أَصْحَابُهُ ﷺ، وَذَلِكَ مَبْثُوْثٌ فِي بُطُوْنِ كُتُبِ الْسِّيْرَةِ.

اشْتَمَلَ الْكِتَابُ عَلَى ثَلاَثَةَ عَشَرَ بَابًا، تَمَيَّزَتْ فِي طَرِيْقَةِ الْعَرْضِ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الْسِّيَرِ؛ حَيْثُ عَدَلَ الْمُؤَلِّفُ عَنِ الْطَّرِيْقَةِ الْمُعْتَادَةِ بِعَرْضِ الأَحْدَاثِ بِحَسَبِ زَمَانِهَا وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ وَقَائِعَ؛ مُخَصِّصًا لِكُلِّ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ شَأْنًا مِنَ الْشُّؤُوْنِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا حَيَاةُ الْرَّسُوْلِ ﷺ وَجُهُوْدَهُ فِي بَثِّ الْدَّعْوَةِ وَإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَجَعَلَ الْمُؤَلِّفُ أَكْبَرَ هَمِّهِ فِي هَذِهِ الأَبْوَابِ الْحَدِيْثَ عَنْ خَصَائِصِ الإِسْلاَمِ، وَدَوْرَ الْشَّرِيْعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي إِصْلاَحِ الْبَشَرِ، وَبَرَاءَتَهَا مِنَ الْتُّهَمِ الَّتِي قُذِفَتْ بِهَا.

الْمَبْحَثُ الْثَّانِي: عَصْرُ الْمُؤَلِّفِ، وَأَثَرُهُ عَلَى تَأْلِيْفِهِ.

لَقَدْ عَاشَ الْمُؤَلِّفُ فِي عَصْرٍ طَغَتْ فِيْهِ الْمَادِّيَّةُ الْبَحْتَةُ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ وَوَاقِعِهِمْ، وَالْتَّطَلُّعِ إِلَى حَضَارَةِ الْغَرْبِ بِكُلِّ تَفَاصِيْلِهَا، وَانْبِهَارِ كَثِيْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ بِتِلْكَ الْحَضَارَةِ، وَظَنِّهِمْ أَنَّ الْتَّدَيُّنَ هُوَ الْسَّبَبُ الْحَقِيْقِيّ لِلْتَّخَلُّفِ وَالْرَّجْعِيَّةِ؛ فَغَابَتْ عَنْهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ كَثِيْرٌ مِن مَعَالِمِ دِيْنِهِمْ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ جُهُوْدِ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ لِتَغْيِيرِ الْمَفَاهِيْمِ الْصَّحِيْحَةِ لَدَى الْمُسْلِمِيْنَ؛ عَنْ طَرِيْقِ مَا قَدَّمُوْهُ مِنْ دِرَاسَاتٍ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْعُلُوْمِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

" لَقَدْ رَافَقَ جُهُوْدَ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ فِتْنَةُ الْمُسْلِمِيْنَ بِالْحَضَارَةِ الْمَادِّيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَوُقُوْعَهُمْ فَرِيْسَةَ خُطَطِ الْتَّحْوِيْلِ عَنْ طَرِيْقِ بَرَامِجِ الْتَّعْلِيْمِ وَمَنَاهِجِهِ وَأَسَالِيْبِهِ وَمَضَامِيْنِهِ فِي كُلِّ الْعُلُوْمِ بِمَا فِيْهَا الْعُلُوْمَ الإِنْسَانِيَّةِ وَالْعُلُوْمَ الْدِّيْنِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَفِتْنَةُ الْمُسْلِمِيْنَ بِالْشَّهَادَاتِ الَّتِي تَمْنَحُهَا الْجَامِعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، لاَ سِيَّمَا شَهَادَاتُ الْمَاجَسْتِيْر وَالْدُّكْتُوْرَاه، يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ غَزْوٌ آخَرُ مَاكِرٌ، جَعَلَ الْجَامِعَاتِ فِي بِلاَدِ الْمُسْلِمِيْنَ تَحْصُرُ الْمَرَاتِبَ الْعِلْمِيَّةَ فِيْهَا بِحَمَلَةِ هَذِهِ الْشَّهَادَاتِ الْعُلْيَا، وَتُؤْثِرُ وَتُقَدِّمُ حَامِلِيْهَا مِنَ الْجَامِعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى حَامِلِيْهَا مِنَ الْجَامِعَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَوَضَعَتْ بِهَذَا الْغَزْوِ الْمَاكِرِ شُرُوْطًا خَاصَّةً وَشَكْلِيَّاتٍ مُعَيَّنَةٍ لِلْتَّدْرِيْسِ فِي هَذِهِ الْجَامِعَاتِ، وَهَذِهِ الْشُّرُوْطُ وَالْشَّكْلِيَّاتِ تَحْجُبُ عَنِ الْتَّدْرِيْسِ فِيْهَا الَّذِيْنَ لاَ يَحْمِلُوْنَ الْشَّهَادَاتِ الْعُلْيَا، مَهْمَا كَانُوْا عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيْرَةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَدْفَعُ إِلَى احْتِلاَلِ مَرَاكِزِ الْتَّعْلِيْمِ وَنَيْلِ الأَلْقَابِ الْكَبِيْرَةِ حَمَلَةَ هَذِهِ الْشَّهَادَاتِ، وَإِنْ كَانُوْا فَارِغِيْنَ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَحْرُوْمِيْنَ مِنَ الإِخْلاَصِ لِدِيْنِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، وَإِنْ كَانُوْا أَدَوَاتٍ لِتَنْفِيْذِ خُطَطِ الأَعْدَاءِ دَاخِلَ بِلاَدِهِمْ"[(١)].

وَلَقَدْ كَانَ الأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ جَادَ الْمَوْلَى مِنْ أَوَائِلِ مَنْ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي أُوْرُبَّا وَعَادَ إِلَى مِصْرَ دُوْنَ أَنْ يُفْتَنَ عَنْ دِيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ عَاشَ الْمُؤَلِّفُ فِي زَمَنِ الإِلْحَادِ وَالانْسِلاَخِ مِنَ الْدِّيْنِ، وَتَأَثَّرَتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ بِهَذِهِ الْمَوْجَةِ الإِلْحَادِيَّةِ.

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن الميداني ص: ١٥١.

أَمَّا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ فَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِشُبُهَاتِ الْفِكْرِ الإِلْحَادِيّ، وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِأُطْرُوحَاتِهِمْ آنْذَاكَ.
وَكَذَلِكَ عَاشَ الْمُؤَلِّفُ فِي زَمَنِ الأَحْزَابِ وَالطَّوَائِفِ وَالْجَمَاعَاتِ.
وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ نَجِدُ الْمُؤَلِّفَ ثَابِتًا فِي دِيْنِهِ وَانْتِمَائِهِ وَفِكْرِهِ، لَمْ يُفْتَنْ فِي دِيْنِهِ، وَلَمْ يَنْحَرِفْ فِي فِكْرِهِ، وَلَمْ تَفْسُدْ عَقِيْدَتُهُ.
وَمَعَ وُجُوْدِ كُلّ هَذِهِ الْمَشَارِبِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْشَّهَوَاتِ هَبَّ أَهْلُ الْغَيْرَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِيُوَضِّحُوْا لِلْنَّاسِ مَا غَابَ عَنْهُمْ، وَيُرْشِدُوْنَهُمْ إِلَى الْطَّرِيْقِ الْقَوِيْمِ عَنْ طَرِيْقِ تَعْرِيْفِهِمْ بِهَدْيِ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ، وَأَنَّهُ أَكْمَلُ هَدْيٍ، وَأَنَّهُ أَصْلُ الْحَضَارَةِ وَأُسُّهَا، فَجَاءَتْ كِتَابَاتُهُمْ حَوْلَ هَذَا الْجَانِبِ، وَالْهَدَفُ هُوَ إِرْجَاعُ النَّاسِ إِلَى الْمَعِيْنِ الْصَّافِي، عَنْ طَرِيْقِ عَرْضِ الْسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَعَالِمِ الْشَّرِيْعَةِ، بِالْطَّرِيْقَةِ الْعَصْرِيَّةِ الَّتِي تُنَاسِبُ ذَلِكَ الْعَصْرِ وَالْمِصْرِ.

الْمَبْحَثُ الْثَّالِثُ: مَوَارِدُهُ الَّتِي أَخَذَ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ.

بَيَّنَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ رَحِمَهُ اللهُ مَصَادِرَهُ الَّتِي اسْتَقَى مِنْهَا كِتَابَهُ:

١- الْقُرْآنُ الْكَرِيْمِ.
٢- كُتُبُ الأَحَادِيْثِ الْمَشْهُوْرَةِ.
٣- نَهْجُ الْبَلاَغَةِ[(١)].
٤- خُلاَصَةُ الْسِّيْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِمُحَمَّدٍ رَشِيْد رِضَا[(٢)].
٥- مَرْكِزُ الْمَرْأَةِ فِي الإِسْلاَمِ، لِلأَمِيْرِ عَلِيّ الْهِنْدِيّ[(٣)].
٦- الْمَعَاهَدَاتُ وَالْمُحَالَفَاتُ، لِحَسَنِ خَطَّابِ الْوَكِيْلِ.
٧- الْرِّقُّ فِي الإِسْلاَمِ، لِأَحْمَدَ بَاشَا شَفِيْق، تَرْجَمَةُ أَحْمَد زَكِي بَاشَا[(٤)].
٨- الْسِّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ[(٥)].
٩- رَسَائِلُ الْسَّلاَمِ، يُوْسُف الْدَّجَوِيّ[(٦)].
١٠- مُوْجَزُ تَارِيْخِ الْشَّرْقِ، لنولديك[(٧)]، الْمُدَرِّسُ بِجَامِعَةِ إستراسبورج بألمانيا.

---

(١) كتاب نهج البلاغة كتاب مطعون في نسبته لعلي رضي الله عنه والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- أن الكتاب جُمع بعد وفاة علي ﷺ بقرابة أربعة قرون، فالشريف الرضى توفي سنة (٤٠٦هـ)، وعلي ﷺ توفي سنة (٤٠هـ)، وليس هناك إسناد متصل بينه وبين علي ﷺ.

- اشتماله على كثير من المصطلحات التي لم يكن يتداولها الناس في عهد علي ﷺ، وإنما عرفت بعد ذلك كـ (الأين، والكيف)، وكذلك ما فيه من كلمات تجري على ألسنة المتكلمين كـ (المحسوسات، والكل والبعض، والصفات الذاتية، والجسمانيات).

- أن فيه من السجع والتمييق والصناعة اللغوية ما لم يعرف في عصر الخلفاء، ومنهم علي ﷺ، وإنما عُرف بعد ذلك، وكذلك التطويل في الكلام فقد ذكر صاحب ((النهج)) عهدَ عليّ ﷺ إلى الأشتر في خمس عشرة ورقة، وهذا خلاف المعروف من كلام علي ﷺ وإيجازه.

- أن فيه نسبة ادعاء علم الغيب لعلي ﷺ، فقد جاء فيه أنه قال: (اسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة، وتضل مائة- إلا أنبئكم بناعقها، وقائدها، وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلًا، ومن يموت منهم موتًا).

انظر في نقد نهج البلاغة: ابن تيمية، منهاج السنة: ١٥٩/٤، المنتقى من منهاج الاعتدال: ص ٥٠٨-٥٠٩، الذهبي/ ميزان الاعتدال (ترجمة علي بن الحسين الشريف المرتضى: ١٢٤/٣)، ابن حجر/ لسان الميزان: ٢٢٣/٤.

(٢) ولعله يقصد كتاب" سيدنا محمد ﷺ " فهذا الأخير هو ما وقفت عليه لمحمد رضا، وإن كان هناك مختصر وخلاصة له فلم أتوصل إليه رغم المحاولة والبحث عنه، كما لم يكتب من كتب عن سيرة محمد رشيد رضا هذا الكتاب ضمن مؤلفاته كالزركلي (الإعلام١٢٦/٦). أو أن هذا المرجع من ضمن إصدارات مجلة المنار، والتي قيل فيها: ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وهي أشهر آثاره حيث أصدر منها ٣٤ مجلداً.

كما أن كتاب: "سيدنا محمدﷺ" قد وافقه المؤلف في عدة مواضيع تناولها في السيرة وإن كان قد تصرف في الصياغة والعبارة اختصاراً ونقريباً إلا أنه لا يخرج عن المضمون للحادثة، ومن ذلك (ص ٤٦٥-٤٦٦)، سيدنا محمد ﷺ، لمحمد رضا:(٢٤٣/١):

قوله في غزوة بدر: بدر الأولى، وتسمى غزوة سفوان خرج إليها الرسول ﷺ في طلب كرز ابن جابر الفهري...".

وكذلك قصة زواج فاطمة بنت الرسول ﷺ وعلي ﷺ ، وزواجه ﷺ بعائشة رضي الله عنها.

(٣) أمير علي بن سعادت علي الهندي: من كبار المناضلين عن الإسلام في العصر الأخير، (١٢٦٥-١٣٤٧هـ/ ١٨٤٩-١٩٢٨م)، ولد في أوهان، من إقليم أود (في الهند) من أسرة عربية تنتمي إلى آل البيت. تعلم في كلكتة ولندن. وأحرز شهادة الحقوق، وتفقه في الشريعة والأدب العربيّ وبرع في القانون والآداب، واحترف المحاماة. الأعلام للزركلي:(١٣/٢).
قال الزركلي: تصدّى لردّ التهم عن الإسلام فأصدر باللغة الإنكليزية (حياة النبي وتعاليمه- ط) و (مختصر تاريخ المسلمين - ط) و (روح الإسلام أو حياة محمد وتعاليمه -ط) وهو أقوى كتبه وأعظمها، وكان يكتب بالإنكليزية ككبار كتابها، ولم يترك أثراً بالعربية (الأعلام ١٣/٢-١٤). ولعل هذا هو السبب في عدم وقوفي على الكتاب، فمن عادة المؤلف جاد المولى أن ينقل من الكتب الإنجليزية بعد ترجمته لها بنفسه في كتابه مباشرة كما فعل مع كتاب الأبطال لتوماس كارليل وغيره من كتب المستشرقين.
والذي ظهر أن المؤلف قد رجع لهذا الكتاب في الباب الثامن، المقصد الثالث: "إصلاح المجتمع" (ص:٢٧١-٢٩٩) قال:
أولاً: إنصاف المرأة ورفع شأنها، وذكر: (المرأة في نظر الإسلام بوصفها؛ بنتاً وزوجة، وأماً، وعضواً في المجتمع الإنساني، والموازنة بين الرجل والمرأة، وما اختصت به المرأة دون الرجل).
(٤) رجع لهذا الكتاب في الباب الثامن، المقصد الثالث: "إصلاح المجتمع"(ص:٣١٠-٣٢٧)، قال: ثانياً: الإكثار من وسائل إبطال الرق، وذكر: (الرق في الإسلام، سبل التحرير، مميزات الرقيق، مزايا الإعتاق الاجتماعية، معاملة الرقيق).
(٥) السيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي، وقد رجع لهذا الكتاب (١٨٩/٢) في الباب الأول (ص٥٢): قصة تآمر كفار قريش على قتل الرسولﷺ، السيرة الحلبية، لبرهان الحلبي:(٢١٨/٢)

وكذلك في ذات الباب (ص:٥٦): قصة هجرة الرسولﷺ من مكة للمدينة السيرة الحلبية، لبرهان الحلبي:(٢١٨/٢)
(٦) الدجوي (١٢٨٧ - ١٣٦٥ هـ = ١٨٧٠ - ١٩٤٦ م)، يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي: مدرس من علماء الازهر، ضرير، من فقهاء المالكية، ولد في قرية " دجوة " من أعمال القليوبية، وكف بصره في طفولته، بمرض الجدري، وتعلم بالأزهر (١٣٠١ - ١٣١٧ هـ) وتوفي بعزبة النخل (من ضواحي القاهرة) ودفن في عين شمس. له كتب، منها: " خلاصة علم الوضع" مطبوع، و" تنبيه المؤمنين لمحاسن الدين " مطبوع و" سبيل السعادة" مطبوع، وفي الأخلاق، و"الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف" مطبوع و" رسائل السلام" مطبوع. الأعلام للزركلي: (٨/ ٢١٦).
وأشار الزركلي إلى هذا الكتاب ضمن مؤلفات الدجوي ولم ينص على أنه طُبع كما فعل مع بقية الكتب التي ذكر أنها له.
وأشارت موسوعة أعلام الفكر الإسلامي إلى أنه قد تُرجم إلى اللغة الإنجليزية وطبعت المشيخة الأزهرية منه عشرة آلاف نسخة ووزعتها. وقد ذكر المؤلف مصرحاً باسم الدجوي في الباب الخامس في قصة **الإسراء والمعراج** وما فيها من شبهات وردود في (١٠) صفحات، قال المؤلف: خليق بنا أن نختم المعجزات بكلمة في الإسراء والمعراج، ثم قال في الحاشية:" هذه الكلمة القيمة لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوي (ص ١٤٥).
(٧) لم أقف عليه، والذي يبدو أنه كغيره من كتب المستشرقين التي رجع لها؛ وليس لها ترجمة

١١- سِيْرَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ عَلِيّ الْهِنْدِيّ[١].

وَمِنْ خِلاَلِ قِرَاءَتِي لِلْكِتَابِ وَجَدْتُ أَنَّهُ اسْتَفَادَ أَيْضًا مِنَ الْكُتُبِ التَّالِيَةِ:

١- الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينِ لِلْجَاحِظِ.

٢- الْمَوَاهِبُ اللَّدُنِيَّةِ بِالْمِنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْقَسْطَلاَّنِي الْمِصْرِيّ.

٣- الأَبْطَالُ، لتوماس كارليل الإنجليزي[٢].

٤- أَعْلاَمُ النُّبُوَّةِ لِلْمَاوَرْدِي[٣].

عربية.

(١) رجع المؤلف لهذا الكتاب في الباب الثالث عشر- " موجز السيرة النبوية" (ص:٤٥٨-٤٧٢). حيث أفرد المؤلف الباب الثالث عشر عن موجز في سيرة الرسول ﷺ، والسبب في ذلك لأن كتابه أشبه بكتب الشمائل ودلائل النبوة، وأحب ختمه بهذا الموجز، فقال: " ليس الغرض من هذا الباب بسط القول في السيرة النبوية فذلك له كتبه وإنما القصد الإلمام بطرف من سيرته ﷺ ليرجع إليه من يريد الحقائق التاريخية، ثم ذكر السيرة في (١٤) صفحة دار الحديث عن: نسب النبي ﷺ، وأدوار حياة الرسول ﷺ وذكر ثلاثة أدوار: من ولادته إلى النبوة. من النبوة إلى الهجرة. من الهجرة إلى وفاته.

(٢) (مؤرخ وأديب اسكتلندي، ولد توماس كارليل في ٤ ديسمبر ١٧٩٥م، وتوفي في ٥ فبراير ١٨٨١م، في لندن وكانت أمنيته أن يدفن بجانب والديه في مسقط رأسه اكلفيشن، كاتب إسكتلندي وناقد ساخر ومؤرخ. وكان لأعماله تأثير كبير بالعصر- الفكتوري، وهو من عائلة كالفينية صارمة أملت أن يصبح واعظاً إلا أنه ترك المسيحية أثناء دراسته بجامعة إدنبرة ومع ذلك بقيت القيم الكالفينية تلازمه طوال حياته، له كتاب الأبطال، ذكر في أحد فصوله عنوانًا أسماه:" البطل بصورة رسول" ترجم هذا الكتاب قديماً، الأديب: محمد السباعي). (الشبكة العنكبوتية ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki).

وقد أفاد جاد المولى من هذا المستشرق عند ذكره الشبهات الواردة في حق الرسول ﷺ والتي يكون مصدر أغلبها من المستشرقين ثم يقوم بالرد عليهم بقول توماس كارليل والذي اعتمد عليه المؤلف اعتماداً كبيراً في الرد على كثير من شبهات المستشرقين، لكونه منصفاً – كما يراه المؤلف -، ومن ذلك: في شبهة:" محمد ﷺ رجل شهوات" الباب الأول:(ص:٢٠):

رد المستشرق كارليل، في كتابه الأبطال (٨٣-٨٤): فقال: "ومن أظلم ممن يفتري على محمد أنه كان رجل شهوات وملذات لقد كان زاهداً منقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون ــ ونعم ما يذكرون ــ أنه كان يصلح ثوبه ويرقعه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم النهار ساهر الليل دائب في نشر دين الله ، غير طامع إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم، وإلا فما كان ملاقياً من أولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً وإكباراً وإعظاماً ، وما كان ممكناً أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ثلاثاً وعشرين حجة، وهم ملتفون به، يقاتلون بين يديه، ويجاهدون حوله، فذلك وأيم الله بطل كبير ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا ، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه ، وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر- من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد في ثوبه المرقع بيده، فكذلك تكون العظمة.

وفي الشبهة:" أن الدين الإسلامي ما كان لينتشر لولا السيف" الباب الأول(ص:٤٢):

رد كارليل فقال: " أن الحرب بين الحق والباطل تمخض دائماً عن بقاء الحق نامياً زاكياً، فمثله كمثل حبوب القمح، إذا دفنت في الأرض مخلوطة بقشر وقمامة، وكانت الأرض خصبة قوية، أخرجت قمحاً خالصاً، أما القمامة فإنها تهضمها في سكون، ثم تحيلها عناصر نافعة تلك سنة الله في كونه وهي سنة حق لا باطل، وسنة عدل ورحمة وحنان تتكفل بحراسة كل أمر أسس على الأخلاق واغتذى بروح الحق" (الأبطال: ٧٦-٧٧).

وقال كارليل الباب الأول(ص:٢١): "ولم يكن متكبراً، ولا ذليلاً ضريعاً....".

وفي مقدمة الباب الأول(ص:٦-٧) ذكر المؤلف ما يقارب الصفحتين من الأبطال... ثم قال توماس (لم يشر- المؤلف لاسمه لكن وقفت على نصه في كتابه الأبطال، ص: ٦٤-٦٥): "وأماكن الحج ما زالت من قديم الزمان تستدعي التجارة فأول يوم يلتقي فيه الحجيج يلتقي فيه كذلك التجار والباعة....".

وقال كارليل الباب السابع:(ص ١٨١-١٨٢): "قوم يضربون في الصحراء لا يؤبه لهم عدة قرون، فلما جاءهم..."

(٣) أعلام النبوة، للماوردي: أورد المؤلف كلاماً عن شمائل الرسول ﷺ في عدة أبواب نقلاً من كتاب الأعلام للماوردي، ومن ذلك: ما ذكره في الباب الأول (ص: ٦-٤٦) والذي قسمه إلى قسمين: فضائله الذاتية وفضائله الاجتماعية ﷺ، حيث قال في فضائله الاجتماعية (ص:٢٤-٢٥): "جوده وسخاؤه"، ثم نقل تلك الصفحتين من كتاب الأعلام من قوله" وجاء رجل إلى النبي ﷺ..، إلى: قاعدة كل التمام". والذي يظهر أن المؤلف قد استمد حتى المسمى لبابه من الماوردي حيث قال الأخير في الأعلام: فضائل أفعاله"، وذكر تحت هذا العنوان ثمان خصال الثامنة منها: "السخاء والجود" وكتب فيها كلاماً نقله بعده المؤلف جاد بك في كتابه تحت عنوان " جوده وسخاؤه".

وقال جاد المولى (ص:١٥-١٦): نقلاً من كتاب الماوردي: فمن كلامه الذي لا يجارى في إيجازه قوله: ﷺ [الناس بزمانهم أشبه . العقل ألوف مألوف. العدة عطية...]. ومن قوله ﷺ الذي لا يدانى فصاحة: [لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما . ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ...].

وقال المؤلف الباب الرابع (ص:٩٠-٩١): مراحل حصول النبوة واستقرارها"، أما مراحل حصولها فهي ما يلي.." ثم نقل ما في هذا الباب كاملاً؛ مما ذكره الماوردي، والذي قال الأخير فيه: الباب الحادي والعشرون" في مبدأ بعثته واستقرار نبوته"١٩٨-٢٠٧. غير أن المؤلف جاد المولى فسر الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها في ١٧سطراً وجميع ما تبقى من الأعلام.

وكما تقدم سابقاً من أن استمداد المؤلف لعناوين أبوابه في الشمائل هي من الأعلام، يتضح ذلك في هذا الباب أيضاً؛ فالماوردي أسمى بابه" في مبدأ بعثته واستقرار نبوته" والمؤلف أسمى بابه:" مراحل حصول النبوة واستقرارها".

وقال المؤلف في الباب الخامس (ص: ١٢٩-١٣٤).: " تكامل الفضل فيه" كمله الله بالفضائل وحسبك دليلاً ما يلي...." ذكر بعدها ١٨ نقطة على حروف "أبجد هوز" نقلها بتمامها ومسمياتها من الأعلام ١٨١-١٩٤، والتي ذكرها الماوردي في الباب العشرون، تحت مسمى: "في شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ ما عدا نقطتين، وهي: (ك، ص).

وهنا أيضاً يظهر لنا تقارب مسمى باب المؤلف من مسمى باب الأعلام، فوافق المؤلف الماوردي في معجزات النبي ﷺ وذلك على النحو الآتي:

قال المؤلف الباب الأول: (١٠-٤٦).: "الأدلة القاطعة على صدق نبوته":

- الأدلة العقلية:

إخباره بالغيبيات، فرط حثه على تطهير النفوس من الأرجاس الطبيعية البشرية وأوحال الشهوات البهيمية، تأييد الله له وخذلان أعدائه.

- الأدلة الحسية:

- دلائل الرسول تقوم مقام المعجزات، القرآن، تيسير الماء لقومه على يديه، تكثيره الطعام، شفاؤه لبعض الأمراض، انقياد الشجر له، استجابة الله لدعواته.

قال الماوردي (٥٠-١١٨): الباب السادس "في إثبات نبوة محمد ﷺ":

ذكر المصنف في أول كلامه في هذا الباب عمن أبطل النبوات، وعلتهم أن الله قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما تأتي به الرسل، ثم ذكر الأدلة على فساد ما ذهبوا إليه، ثم أتبع بابه الحالي أبوابًا في معجزاته تثبت صدق نبوته، فقال:

الباب الثاني عشر: في إنذاره بما سيحدث بعده (ص١٠٦).

الباب العشرون: في مبدأ بعثته واستقرار نبوته، قال: الميزة الثانية؛ ما ميز به عن سائر الخلق من تقديسه عن الأرجاس وتطهيره من الأدناس (ص٢٠٠).

الباب الثامن: في معجزات عصمته (ص٧١) وتناول تأييد الله له ﷺ .

دلائل تقوم مقام المعجزات، قال: الباب الخامس عشر: في بشائر الأنبياء عليهم السلام بنبوته ﷺ (ص١١٧).

و قال: الباب السابع: فيما تضمنه القرآن من أنواع الإعجاز (ص١١٧).

الباب التاسع: فيما شوهد من معجزات أفعاله، وذكر تيسير الماء لقومه على يديه، تكثير الأطعمة، شفاؤه لبعض الأمراض.

الباب الرابع عشر: في معجزته ﷺ من الشجر والجماد، وذكر انقياد الشجر له ﷺ (ص٧٨-٨١).

الباب الحادي عشر: فيما أكرم به ﷺ من إجابة أدعيته (ص٩١).

٥- الْشَّمَائِلُ الْشَّرِيْفَةُ، لِلسِّيُوْطِي.
٦- سِيْرَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، لسير وليم موير [(١)].
٧- جَمْهَرَةُ خُطَبِ الْعَرَبِ، لِأَحْمَدَ زَكِي صَفْوَتْ.
٨- مِفْتَاحُ دَارِ الْسَّعَادَةِ لِلإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ.
٩- وَصْفُ الْمَرْأَةِ، لترترليان [(٢)].
١٠- سِرَاجُ الْمُلُوْكِ لِلطّرْطُوْشِي [(٣)].
١١- أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّيْنِ لِلْمَاوَرْدِي.
١٢- " الاسْتِرْقَاقُ عِنْدَ الأُمَمِ الْنَّصْرَانِيَّةِ" باترس لاروك" [(٤)].

الْمَبْحَثُ الْرَّابِعُ: مَحَاسِنُ الْكِتَابِ.

أَوَّلاً: أَكْثَرَ الْمُصَنِّفُ مِنْ إِيْرَادِ الآيَاتِ الْشَّرِيْفَةِ فِي كِتَابِهِ.

وَهَذِهِ صِفَةٌ حَسَنَةٌ؛ وَمَنْهَجٌ قَوِيْمٌ، بَلْ عَقَدَ مَبْحَثًا فِي الْبَابِ الْخَامِسِ عَنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، بَيَّنَ فِيْهِ حَالَ الْعَرَبِ مَعَ الْقُرْآنِ، وَوُقُوْفِهِمْ عَاجِزِيْنَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ.

وَمِنْ جَمِيْلِ قَوْلِهِ رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يَصِفُ حَالَ الْعَرَبِ: "وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّهُمْ شَاهَدُوْا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيْمَ لَمْ يَدَعْ عِلْمًا مِنْ عُلُوْمِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ إِلاَّ صَرَّحَ بِهِ، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِأَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةٍ وَطَرَائِقَ مُبْتَدَعَةٍ، لَمْ يَقَعْ فِيْهِ تَنَاقُضٌ وَلَمْ يَتَخَلَّلْهُ تَضَارُبٌ مَعَ انْفِرَادِهِ بِأُسْلُوْبٍ لَيْسَ لَهُ مِثَالٌ يُحْتَذَى، وَلاَ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ، فَلاَ هُوَ مِنْ ضَرْبِ الْقَصَائِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلاَ مِنَ الأَرَاجِيْزِ الْبَدَوِيَّةِ، وَلاَ مِنَ الْخُطَبِ الْقِسِّيَّةِ.

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ وَجَدُوْهُ فِي عُقُوْلِهِمْ مُسْتَحْسَنًا، وَفِي نُفُوْسِهِمْ مُسْتَمْلَحًا، وَفِي أَذْوَاقِهِمْ مُسْتَعْذَبًا، وَلِأَسْمَاعِهِمْ مَأْلُوْفًا، كُلَّمَا تَكَرَّرَ حَلاَ..." [(٥)].

ثَانِيًا: اسْتِدْلاَلُهُ بِالْحَدِيْثِ الْشَّرِيْفِ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ جِدًّا.

جَاءَ إِيْرَادُهُ الْحَدِيْثَ مَوْرِدَ الْمُحِبِّ وَالْمُسْتَدِلِّ وَالْمُبَيِّنِ لِمَعْنَاهُ، وَلِحُكْمِهِ أَحْيَانًا، وَإِنْ كَانَ خَلَطَ بَيْنَ الْصَّحِيْحِ وَالْضَّعِيْفِ، وَأَحْيَانًا الْمَكْذُوْبِ.

وَسَمَّى ذَلِكَ فِي مَرَاجِعِ كِتَابِهِ: الأَحَادِيْثَ الْصَّحِيْحَةَ.

وَهَذَا وَصْفُهُ لِلأَحَادِيْثِ الَّتِي يَسْتَشْهِدُ بِهَا، لَكِنْ بِالْتَّخْرِيْجِ لِهَذِهِ الأَحَادِيْثِ وَالآثَارِ اتَّضَحَ أَنَّ مَقْصِدَهُ مِنْ قَوْلِهِ:" كُتُبِ الأَحَادِيْثِ الْصَّحِيْحَةِ" هِيَ: الأَحَادِيْثُ الْمَقْبُوْلَةُ وَالْضَّعِيْفَةُ، وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ تَصِلُ لِدَرَجَةِ الْمَكْذُوْبِ أَوِ الْمَوْضُوْعِ إِلاَّ فِي النَّادِرِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَسْتَشْهِدُ بِجُمْلَةٍ لاَ بَأْسَ بِهَا مِنَ الأَحَادِيْثِ الْصَّحِيْحَةِ (فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ) وَلَيْسَ جَمِيْعَ مَا ذَكَرَ، بَلْ يَسْتَشْهِدُ بِالأَحَادِيْثِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْرُّتَبِ، كَمَا نَجِدُهُ يَذْكُرُ عَدَدًا مِنَ الْرِّوَايَاتِ الْضَّعِيْفَةِ وَالْمُعَلَّةِ دُوْنَ نَقْدٍ أَوْ بَيَانٍ، مَعَ الاضْطِرَابِ فِي الْعَزْوِ.

ثَالِثًا: تَفْسِيْرُهُ لِلْكَلِمَاتِ الْغَرِيْبَةِ الْوَارِدَةِ فِي الأَحَادِيْثِ وَالآثَارِ:

لاَ يَأْلُوا الْمُصَنِّفُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ جَهْدًا فِي تَفْسِيْرِ غَرِيْبِ مَا يُوْرِدُهُ مِنْ أَلْفَاظٍ وَمُصْطَلَحَاتٍ فِي الْهَامِشِ، بِدُوْنِ ذِكْرِ مَصْدَرٍ لِلْشَّرْحِ وَلاَ مَرْجِعٍ لِلْبَيَانِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ: (الْمَزْبُوْعُ، الْمُشَذَّبُ، رَجْلُ الْشَّعْرِ، عَقِيْقَتُهُ، أَزَجُّ، مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ، أَقْنَى، أَدْعَجُ، أَشْنَبُ، مُفَلَّجٌ، دَقِيْقُ الْمَسْرَبَةِ) [(٦)].

وَلَعَلَّ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُفَسِّرُ مِنْ عِنْدِهِ؛ إِذْ قَدْ بَلَغَ شَأْوًا كَبِيْرًا مِن عِلْمِ الْلُّغَةِ وَالأَدَبِ، مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ حِفْظِهِ وَمَا عَلِقَ بِالْذَّاكِرَةِ مَعَ غِيَابِ أُصُوْلِهِ عَنْهُ لِسَفَرٍ وَنَحْوِهِ.

---

(١) نقل عنه في الباب السابع(ص:١٧٩)، حيث قال: قال سير وليم موير، في كتابه" سيرة مُحَمَّد " ﷺ ...
السِّير وليم موير: (١٩٠٥- ١٨١٩). مستشرقٌ أسكتلندي، عَمِل في الهند، ثم اختير رئيسًا لجامعة "أدِنْبَره"، ومن مؤلَّفاته "حياة مُحَمَّد "في أربعة أجزاء، وقد صَدَر في لندن من ١٨٥٨ حتى ١٨٦١.
وهو -على الرغم من أرثوذوكسيته الإنجليزية- فإنه قد اكتَسَب خلالَ دراسته تعاطُفًا مُعيَّنًا لرجل (يقصد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)، ظَهَر أنه كان ضحيَّةً للشيطان.
أو أن محمدًا كان أداةً من أدواتِ الشيطان، ولكنه مع ذلك اعترف بأن هذا الشيطانَ قد ظَهر لمحمدٍ في صورةِ رسول الله - ﷺ.
والنبي محمدٌ - ﷺ - ليس في حاجةٍ إلى مِثل هذا التعاطُف المردودِ على صاحبه، وقد سَبَق لمشركي مكةَ أنْ زَعَموا أن محمدًا - ﷺ - به مَسٌّ من الجن، فلا جديدَ في زَعم "موير"، فهو ترديدٌ من كافر لمزاعمَ قديمةٍ في صورةٍ أُخرَى.
المكتبة الشاملة الحديثة: https://al-maktaba.org/book/34198/1410
(٢) نقل عنه في الباب الثامن (ص:٣٠١)، حيث قال: قرر(ترتر ليان) في كتابه" وصف المرأة.... "
(٣) في الباب الثامن (ص: ٣٤٤). قال: قال الإمام الطرطوشي في كتابه" سراج الملوك"..... ".
والمؤلف: أبو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ) الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م عدد الأجزاء: ١.
(٤) وفي الباب الثامن (ص: ٣٢٣)، قال: باترس لا روك، في كتابه" الاسترقاق عند الأمم النصرانية"... حيث يقول: "إن الديانة المسيحية لم تحرم الاسترقاق نصا ولم تلغه عملا....."

(٥) مُحَمَّد رسول الله ﷺ المثل الكامل، ص ٨٤.
(٦) كما نجده مثلاً في صحيفة واحدة من كتابه ص ١٠، يتعرض في الحاشية لأحدى عشرة كلمة، دون الرجوع لأي كتاب من كتب اللغة.

رَابِعًا: اهْتِمَامُهُ الْوَاضِحُ بِفِقْهِ السِّيْرَةِ.

حَيْثُ يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي طَرِيْقَةِ الْمُؤَلِّفِ فِي سِيَاقِهِ لِمَوَاضِعَ عَدِيْدَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَنَجِدُهُ يَضَعُ الْعُنْوَانَ، وَيَسُوْقُ مِنْ نُصُوْصِ السِّيْرَةِ مَا يَدْعَمُهُ.

وَالْعُنْوَانُ الَّذِي يَعْنُوْنُ بِهِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ يُعَبِّرُ عَنِ الْفِقْهِ فِي الْحَدِيْثِ، وَوَجْهُ الاسْتِدْلاَلِ الَّذِي يُسْتَفَادُ مِمَّا يَذْكُرُهُ خِلاَلَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أ- عَرْضُ شُمُوْلِيَّةِ الدِّيْنِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الأَغْرَاضِ لِسِيَاقِ السِّيْرَةِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

"فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ كَانَ شَامِلاً لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ عَلَى اخْتِلاَفِ الدُّهُوْرِ وَالأَحْقَابِ، وَلاَ يَقْبَلُ تَبْدِيْلاً وَلاَ تَنْقِيْحًا..."[١].

ب- عَرْضُ الْغَايَاتِ مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ، فَمِنْ ذَلِكَ، قَوْلُهُ[٢]: " جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِتَوْجِيْهِ الأَنْظَارِ إِلَى الْعِبْرَةِ بِسُنَّةِ اللهِ فِيْمَنْ مَضَى وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْبَشَرِ وَفِي آثَارِ سِيَرِهِمْ فِيْهِمْ:

إِذْ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ الٓمٓ ﴿١﴾ بَعْدَ ۚ مَعَادٍ جَآءَ

إِذْ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ بَعْدَ [٤].

وَقَوْلُهُ: "جَاءَ بِدِيْنٍ أَزَالَ الْحَوَاجِزَ الَّتِي أَقَامَهَا رُؤَسَاءُ الأَدْيَانِ السَّابِقُوْنَ، لِيَحُوْلُوْا بَيْنَ النَّاسِ وَمَا مَيَّزَهَا اللهُ بِهِ، مِنَ الاسْتِعْدَادِ لِلْعِلْمِ بِحَقَائِقِ الْكَائِنَاتِ الْمُمْكِنَةِ، ثُمَّ حَثَّهَا عَلَى طَلَبِ الْعِرْفَانِ، وَطَالَبَهَا بِاحْتِرَامِ الْبُرْهَانِ، وَفَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ تُضَاعِفَ الْجُهْدَ فِي اسْتِكْنَاهِ مَا فِي الْعَوَالِمِ مِنْ سُنَنٍ وَأَسْرَارٍ"[٥].

وَكَأَنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَقُوْلَ لِمَنْ فِي عَصْرِهِ لاَبُدَّ مِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ عَلَى نُوْرٍ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَشَرْعِهِ، وَحُكْمِهِ.

ج- عَرْضُ الآدَابِ النَّبَوِيَّةِ فِي ثَنَايَا حَدِيْثِهِ بِأُسْلُوْبٍ أَخَّاذٍ مُخْتَصَرًا، فَمَثَلاً، يَقُوْلُ:

" ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الْصَّلاَةُ وَالْسَّلاَمُ ظَلَّ طُوْلَ حَيَاتِهِ يُرَاقِبُ اللهَ، وَيَخْشَاهُ فِي جَمِيْعِ الأُمُوْرِ: فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الْصَّالِحَاتِ، وَإِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَال، ...، إِلَى أَنْ قَالَ: وَمِنْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ ﷺكَانَ فِي جَمِيْعِ شُئُوْنِ حَيَاتِهِ لاَ يَنْظُرُ إِلاَّ إِلَى اللهِ، وَلاَ يَسْتَمِدّ الْمَعُوْنَةَ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَلاَ يَرَى لِنَفْسِهِ وَلاَ لِغَيْرِهِ حَوْلاً وَلاَ قُوَّة. وَلاَ غَزْوَ: فَمُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرُ أُسْوَةٍ"[٦].

د- عَرْضُهُ لِسِيَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِيْمَا يَمُرُّ بِهِ مِنَ الأَحْدَاثِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ: "وَلَمَّا جَاءَتْ سَنَةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ لِلْنُّبُوَّةِ، وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِيْنَةِ لِلْحَجِّ كَثِيْرُوْنَ، وَمَعَهُمْ ثُلَّةٌ مِنْ مُشْرِكِيْهِمْ، وَحِيْنَ قَابَلَهُ وَفْدُهُمْ وَاعَدُوْهُ الْمُقَابَلَةَ لَيْلاً عِنْدَ الْعَقَبَةِ، فَأَمَرَهُمْ أَلاَّ يُنَبِّهُوْا نَائِمًا وَقْتَئِذٍ، وَلاَ يَنْتَظِرُوْا غَائِبًا: لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الأَعْمَالِ كَانَتْ خُفْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ حَتَّى لاَ يَطَّلِعُوْا عَلَى الأَمْرِ، فَيَسْعَوْا فِي نَقْضِ مَا أُبْرِمَ. وَتِلْكَ سِيَاسَةٌ حَكِيْمَةٌ وَمَنْهَجٌ قَوِيْمٌ"[٧].

وَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا ذَكَرَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، قَالَ[٨]:

"تَأَمَّلْ أَنَّ الْمُصْطَفَى ﷺ كَانَ مَعَهُ جَيْشٌ عَظِيْمٌ يُمَكِّنُهُ مِنْ دُخُوْلِ مَكَّةَ فَاتِحًا، وَلَكِنَّهُ اجْتَنَبَ الْقِتَالَ وَقَبِلَ شُرُوْطًا رَآهَا عُمَرُ رضي الله عنه غَيْرُ لاَئِقَةٍ بِالإِسْلاَمِ وَكَرَامَتِهِ: لِيَكُوْنَ قُدْوَةً صَالِحَةً لِأَهْلِ الْزَّعَامَةِ فِي سَعَةِ الْحِيْلَةِ وَبُعْدِ الْنَّظَرِ وَسَدَادِ الْرَّأْيِ وَنَيْلِ الْمَطَالِبِ مِنْ أَنْبَلِ سُبُلِهَا...".

هـ- قَرَّرَ أُصُوْلَ الْسِّيَاسَةِ فِي الإِسْلاَمِ، فِي الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَذَلِكَ فِي الْبَابِ الْسَّابِعِ، الْمَقْصِدِ الْخَامِسِ – وَالْمَقْصِدِ الحَادِي عَشَر[٩].

---

(١) ص: ٦٦.
(٢) ص: ٧٠- ٧١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٧.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٧.
(٥) ص: ٧١.
(٦) ص: ٨٠.
(٧) ص: ١١٧.
(٨) ص: ١٢٢.
(٩) (ص٢١٤- ص٢٣٥).

و- ذِكْرُهُ الْعِبَرَ وَالْفَوَائِدَ وَالْفَرَائِدَ مِنَ الْقَصَصِ النَّبَوِيّ:

قَالَ فِي غَزْوَةِ أُحُد[١]: "انْظُرْ مَا حَصَلَ فِي مَوْقِعَةِ أُحُدٍ: إِذْ رُمِيَ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَكُسِرَتْ سُفْلَى رَبَاعِيَّتِهِ الْيُمْنَى، وَجُرِحَتْ شِفَّتُهُ السُّفْلَى، وَشُجَّتْ جَبْهَتُهُ... فَهَرَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ الأَوْفِيَاء، وَجَعَلُوْا مِنْ جُسُوْمِهِمْ حُصُوْنًا حَوْلَهُ، وَأَخَذُوْا يُصْرَعُوْنَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَكُلَّمَا خَلاَ مَكَانُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَارَعَ غَيْرُهُ إِلَيْهِ... إِنَّ الرُّوْحَ الَّتِي نَفَثَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي قَوْمِهِ، لَمْ يَقْتَصِرْ ظُهُوْرُهَا عَلَى مَوَاقِعِ الْقِتَالِ، بَلْ مَكَّنَتْهُمْ مِنْ مُحَارَبَةِ أَلَدّ الأَعْدَاءِ وَأَقْوَاهَا؛ وَهِيَ طَبَائِعُهُمُ الْفَاسِدَةُ وَعَادَاتِهِمُ الْمَرْذُوْلَةُ، وَعَقَائِدِهِمُ السَّخِيْفَةُ.

وَالْسِّرُّ فِي ذَلِكَ: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَعَ كَثْرَةِ وَاجِبَاتِهِ الَّتِي أَدَّاهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ لَمْ يُشْغَلْ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، فَقَدْ كَانَ يَقْضِي نَهَارَهُ فِي عَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ، وَلَيْلَهُ فِي تَهَجُّدٍ طَوِيْلٍ".

وَقَالَ الْمُؤَلِّفُ[٢]: "وَمَا أُوْذِيَ بِهِ حِيْنَمَا ذَهَبَ إِلَى الْطَّائِفِ يَدْعُوْهُمْ إِلَى اللهِ؛ فَقَدْ خَضَّبُوْا نَعْلَيْهِ بِالْدِّمَاءِ، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ، وَمَا زَادَ عَلَى أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُوْا إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيْلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى الْنَّاسِ...".

وَلاَ رَيْبَ فِي أَنَّ هَذَا دَلِيْلٌ عَلَى: أَنَّ الْدَّعْوَةَ مَلَكَتْ حَوَاسَّهُ وَقَلْبَهُ فَهَانَ مَعَهَا مَا لَقِيَهُ مِنَ الْتَّأْنِيْبِ وَالْتَّكْذِيْبِ، وَالإِيْذَاءِ وَالإِرْهَابِ، وَمُحَالٌ عَقْلاً أَنْ يَصْبِرَ دَاعٍ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الأَهْوَالِ إِنْ كَانَ شَاكًّا فِي أَمْرِهِ، أَوْ مُرْتَابًا فِي صِدْقِ دَعْوَتِهِ"[٣].

وَقَالَ: " إِنَّ الْحُكُوْمَةَ الَّتِي أَنْشَأَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَمْ تَسْتَعِنْ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الأَمْنِ وَحَمْلِ الْنَّاسِ عَلَى إِطَاعَةِ الأَوَامِرِ بِشَيْءٍ مِمَّا تَسْتَعِيْنُ بِهِ حُكُوْمَاتُ الأُمَمِ الأُخْرَى...

وَسِرُّ ذَلِكَ: أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوْبِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَأَصْبَحَ سِرُّهُمْ كَعَلاَنِيَتِهِمْ وَأَصْبَحَ الْجَانِي شُرْطِي نَفْسِهِ"[٤].

ثُمَّ قَالَ: " قَرَّرَ عُلَمَاءُ الاجْتِمَاعِ أَنَّهُ لاَ يَتِمُّ إِصْلاَحٌ لِأُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ، أَوْ لِشَعْبٍ مِنَ الْشُّعُوْبِ، إِلاَّ إِذَا أُفْعِمَتْ الْقُلُوْبُ حُبًّا لِلْمُصْلِحِ وَطَاعَةً لِأَوَامِرِهِ"[٥].

وَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِهِ مُعْجِزَةَ الْقُرْآنِ لِلْرَّسُوْلِ ﷺ[٦]: "وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ الْعَجِيْبَةُ، كَافِيَةً لِلْدَّلاَلَةِ عَلَى صِدْقِهِ، وَشَاهِدَةً عَلَى صِحَّةِ رِسَالَتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّزَهَا بِمُعْجِزَاتٍ غَيْرَهَا حِسِّيَّةٍ، لِيَزِيْدَ فِي إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ، وَيَدْحَضَ حُجَّةَ الْجَاحِدِ".

وَقَالَ[٧]: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِيْنَ لَمَّا اسْتُشْهِدَ سَيِّدُ الْشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ مَثَّلُوْا بِهِ تَمْثِيْلاً فَضِيْعًا فَلَمَّا أَرَادَ الْمُسْلِمُوْنَ أَنْ يُمَثِّلُوْا كَذَلِكَ بِقَتْلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَنَعَهُمُ الْرَّسُوْلُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛ إِذْ لَيْسَ الْمَقْصُوْدُ مِنَ الْجِهَادِ عَدَاوَةً لِذَوَاتِ الأَشْخَاصِ الْمُحَارِبِيْنَ، وَإِنَّمَا كَانَ لإِزَالَةِ تِلْكَ الْغَشَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعْمِي أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الْنُّوْرِ الْسَّاطِعِ، وَتَحُوْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَقِّ الأَبْلَجِ...".

وَقَالَ[٨]: " جَعَلَتِ الْشَّرِيْعَةُ الْعِتْقَ كَفَّارَةً لِلْقَتْلِ الْخَطَأ...

وَسِرُّ ذَلِكَ: أَنَّ الْقَتْلَ إِعْدَامٌ لِلْحَيَاةِ الْجِسْمِيَّةِ، وَالْتَّحْرِيْرَ بِالْكَفَّارَةِ إِيْجَادٌ لِلْحَيَاةِ".

خَامِسًا: حُسْنُ الْعَرْضِ وَالْتَّقْسِيْمِ لِمُفْرَدَاتِ الْسِيْرَةِ، وَحَيَاةِ صَاحِبِهَا ﷺ، مَعَ الاخْتِصَارِ لِلْقَصَصِ وَالأَحْدَاثِ مَعَ جَوْدَةِ الْعَرْضِ، وَاكْتِمَالِ الْمَعْنَى.

الْكِتَابُ بَدِيْعُ الْعَرْضِ لِلْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي أَبْوَابِ الْسِّيرة العَطِرَة، يَكْسُوْ الْمُصَنِّفُ أَلْفَاظَهُ بِعِبَارَاتٍ أَدَبِيَّةٍ سَلِيْمَةٍ وَرَصِيْنَةٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ الْسَّجْعَ فِي كَلاَمِهِ لَكِنَّهُ كَانَ سَلِسًا غَيْرَ مُتَكَلَّفٍ، وَلا مُمِلّ.

وَأَعْظَمُ مَا يُحَسِّنُ الْكِتَابَ وَيُجَمِّلُهُ أَنَّهُ عَرَضَ سِيْرَةَ أَفْضَلِ الْخَلْقِ أَجْمَعِيْنَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ رَبَطَ الْقُرَّاءَ بِحَيَاةِ الْنَّبِي ﷺ، وَكَانَ هَدَفُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْنَّاسِ أَنَّ سَبِيْلَ الْنَّجَاةِ - مِنَ الاخْتِطَاطِ الَّذِي بُلِيَ بِهِ الْنَّاسُ فِي أَخْلاَقِهِمْ، وَثَقَافَاتِهِمْ، وَحَيَاتِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالاقْتِصَادِيَّةِ -، بِالْرُّجُوْعِ إِلَى هَدْيِ الْنَّبِيِّ ﷺ، عَنْ

(١) الباب السابع: (ص:١٩٠-١٩١).
(٢) الباب الخامس: (ص: ١٠١).
(٣) الباب الخامس: (ص: ١٠١).
(٤) الباب السابع: (ص: ١٨٨-١٨٩).
(٥) الباب السابع: (ص: ١٨٨-١٨٩).
(٦) الباب الخامس: (ص:١٤٠).
(٧) الباب الثامن: (ص:٣٥٢).
(٨) الباب الثامن: (ص: ٣٢٥).

طَرِيْقِ النَّظَرِ فِي سِيْرَتِهِ، وَالاقْتِدَاءِ بِهِ فِي جَمِيْعِ أُمُوْرِ الْحَيَاةِ.

وَأَقْرَبُ مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ السَّوْقِ الْبَدِيْعِ مَا جَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ، حَيْثُ يَقُوْلُ تَحْتَ عُنْوَانِ: حُسْنُ صُوْرَتِهِ وَكَمَالُ خِلْقَتِهِ ﷺ:

" إِذَا كَانَ فَنُّ التَّصْوِيْرِ لَمْ يَشْرُفْ بِصُوْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ نَالَ الْقَلَمُ هَذَا الشَّرَفَ الرَّفِيْعَ، إِذْ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ بَعْدَ [١] "[٢].

وَقَالَ أَيْضًا: " اخْتَصَّ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالمَحَامِدِ الْكَثِيْرَةِ، وَالمَآثِرِ الأَثِيْرَةِ، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدَيْهِ الآيَاتِ، وَأَقَامَ لَهُ الأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى خَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ، وَأَنَى عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَنَصَرَهُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَأَبْقَى مُعْجِزَاتِهِ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، وَكَلأَهُ بِعِنَايَتِهِ، وَشَمَلَهُ بِرِعَايَتِهِ، وَأَيَّدَهُ بِالْبَرَاعَةِ وَاللَّسَنِ وَرَكَّبَ فِيْهِ كُلَّ خُلُقٍ حَسَنٍ... "[٣].

وَقَالَ أَيْضًا: " وَلَمَّا كَانَتْ سِيْرَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مَمَاتِهِ ثَابِتَةً ثُبُوْتًا لاَ مِرْيَةَ فِيْهِ فَجَمِيْعُ أَعْمَالِهِ مُدَوَّنَةٌ، وَأَحَادِيْثُهُ مَسْطُوْرَةٌ شَامِلَةٌ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَنُوْ الْبَشَرِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَكَانَتْ حَيَاتُهُ مَلأَى بِالْمُثُلِ الصَّالِحَةِ الْكَفِيْلَةِ بِإِنْهَاضِ بَنِي الإِنْسَانِ وَتَثْقِيْفِ عُقُوْلِهِمْ وَتَقْوِيْمِ أَخْلاَقِهِمْ وَإِصْلاَحِ شُؤُوْنِهِمْ كَانَ هُوَ الْمَثَلَ الْكَامِلَ.

وَلاَ غَرْوَ فَهُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبُهَا كَهْلاً، أَطْهَرُ الْمُطَهَّرِيْنَ شِيْمَةً، وَأَمْطَرُ الْمُسْتَمْطَرِيْنَ دِيْمَةً[٤]، وَهُوَ خَيْرُ أُسْوَةٍ: لِلْفَرْدِ فِي قَبِيْلَتِهِ، وَالزَّوْجِ مَعَ زَوْجِهِ، وَالأَبِ مَعَ وَلَدِهِ، وَالمُرَبِّي مَعَ تِلْمِيْذِهِ، وَالْوَاعِظِ مَعَ مُسْتَمِعِيْهِ، وَالْجُنْدِي فِي حَوْمَةِ الْوَغَى، وَالْقَائِدِ فِي تَدْبِيْرِهِ، وَالْمُشَرِّعِ فِي أَحْكَامِ شَرِيْعَتِهِ، وَالْقَاضِي فِي قَضَائِهِ، وَالْسِّيَاسِيِّ فِي حُكُوْمَتِهِ، وَالمَلِكِ فِي رَعِيَّتِهِ، وَالمُسَالِمِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْمُحَارِبِ لِأَعْدَائِهِ، وَالْعَابِدِ فِي مِحْرَابِهِ، وَالزَّاهِدِ فِي قَنَاعَتِهِ.

كُلُّ أُوْلَئِكَ يَجِدُوْنَ مِنْ حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ مُثُلاً يَحْتَذُوْنَهَا، وَرُوْحًا يَقْوُوْنَ بِهَا عَلَى مُزَاوَلَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِمَامًا يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهِ فِي تَحْقِيْقِ مَآرِبِهِمْ، وَمَرَدًّا يَرْجِعُوْنَ إِلَيْهِ عِنْدَ حِيْرَتِهِم، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ مَشَارِبُهُمْ وَتَبَايَنَتْ أَلْوَانُهُمْ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَهْدِيَ النَّاسَ إِلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ، وَاقْتِفَاءِ سِيْرَتِهِ الزَّكِيَّةِ، وَالاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَخْلاَقِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالتَّأَسِّي بِهِ فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، وَالأَخْذِ بِقَوْلِهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، وَالْعَمَلِ بِدِيْنِهِ، فَهُوَ عِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقٌّ لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ، وَسِلْمٌ لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدَى لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ، وَبُرْهَانٌ لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدٌ لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَآيَةٌ لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةٌ لِمَنْ اسْتَلْأَمَ[٥]، وَعِلْمٌ لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيْثٌ لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمٌ لِمَنْ قَضَى "[٦].

وَسَائِرُ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنَ قُوَّةِ الْعِبَارَةِ وَجَمَالِهَا مَعَ جَزَالَتِهَا وَرَصَانَتِهَا.

يَظْهَرُ حُسْنُ الاخْتِصَارِ جَلِيًّا فِي مَنْهَجِهِ كَمَا فِي سَوْقِهِ لِأَحْدَاثِ غَزْوَةِ بَدْرٍ[٧].

سَادِسًا: أَوْرَدَ جُمْلَةً من كَلاَمِ مُنْصِفِي الْمُسْتَشْرِقِيْنَ:

وَهُمْ ثُلَّةٌ مِنَ الَّذِيْنَ أَنْصَفُوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ كَلاَمِهِمْ، فَمِنْ ذَلِكَ:

اسْتِشْهَادُهُ بِقَوْلِ غوستاف لوبون الفرنسي، حَيْثُ قَالَ: "مَا عَرَفَ التَّارِيْخُ فَاتِحًا أَعْدَلَ وَلاَ أَرْحَمَ مِنَ الْعَرَبِ"[٨].

وَهَذَا إِنَّمَا يُسَاقُ لِيَدُلّ عَلَى أَنَّ الْمُنْصِفَ لاَ يُمْكِنْ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْحَقَائِقَ إِلَى غَيْرِهَا، بَلْ سَيُدْلِي بِالْحَقِيْقَةِ الَّتِي لاَ مَنَاصَ مِنْهَا، وَهِيَ عُلُوُّ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى جَمِيْعِ الْدِّيَانَاتِ، وَصَلاَحِيَّتُهَا لِكُلّ الْعُصُوْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

"قَالَ الأُسْتَاذُ وِلْيَمْ مُوير ١٩٠٥- ١٨١٩م فِي كِتَابِهِ "تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ" ﷺ: " إِنَّ النَّصْرَانِيَّةَ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيْلاَدِ قَدْ أَصْبَحَتْ فَاسِدَةً مُشَوَّهَةً "[٩].

وَقَالَ جيبون: " إِنَّ النَّصْرَانِيَّةَ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيْلاَدِ قَدْ اسْتَحَالَتْ وَثَنِيَّةً، فَقَدْ أَصْبَحَتِ الْوُجُوْهُ تُوَلِّي شَطْرَ

(١) سورة اقرأ، الآيات ٣- ٥.

(٢) انظر: محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل، ص ١٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١.

(٤) الديمة: المطر يطول زمانه في سكون، والجمع ديَم. "المعجم الوسيط ص: ٣٣١" مادة: د ي م.

(٥) الجُنة: الوقاية، واستلأم: طلب اللأمة وهي الدرع. "المعجم الوسيط ص: ٥١١" مادة: ل أ م.

(٦) المقدمة، صحيفة ر.

(٧) ص: ١٣٣.

(٨) الكتاب، ص ١٣٦.

(٩) انظر: حياة محمد، وليم موير: ص١٤.

الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ الَّتِي حَلَّتْ مَحَلَّ الْهَيَاكِلِ وَالمَعَابِدِ، وَأَخَذَ مَكَانَ عَرْشِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ الشُّهَدَاءُ وَالْقِدِّيْسُوْنَ، وَنَسَبَ الْضَّالُّوْنَ الْمُضِلُّوْنَ صِفَاتِ اللهِ إِلَى الْسَّيِّدِ الْمَسِيْحِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَأُمِّهِ الْبَتُوْلِ، وَحَارَتِ الأَفْهَامُ فِي مَعْنَى التَّثْلِيْثِ وَالاتِّحَادِ وَالْحُلُوْلِ، وَعَمُوْا عَنِ الْتَّوْحِيْدِ.

وَاضْطَرَبَتِ الأَحْوَالُ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ فِي الْعَالَمِ اضْطِرَابًا لَمْ يُعْهَدْ لَهُ مَثِيْلٌ، إِذْ أَنَّ أَهْلَ الأَدْيَانِ لَمْ يَقْتَصِرُوْا عَلَى مُجَانَبَتِهِمْ الْفَضِيْلَةَ بَلْ انْقَلَبَتِ الرَّذِيْلَةُ فَضِيْلَةً أَقْبَلَ عَلَيْهَا النَّاسُ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ، تَنَزَّهَ عَمَّا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ.

ـ انْحَطَّتْ جَمِيْعُ الأُمَمِ إِلَى مَهَاوِي الْرَّذِيْلَةِ، وَأَتَى أَهْلُ الأَدْيَانِ فِيْهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمُنْكَرَاتِ مَا يَنْدَى لَهُ الْجَبِيْنُ، حَقًّا إِنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ كَثِيْرًا مِنَ الرُّسُلِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنَّ ظُهُوْرَهُمْ كَانَ حَاجَةً مَاسَّةً ، غَيْرَ أَنَّ الْعُصُوْرَ الَّتِي بُعِثُوْا فِيْهَا وَاحِدًا مِنْ بَعْدِ الآخَرِ لَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْظُلْمَةِ مَا بَلَغَهُ الْعَصْرُ الَّذِي أُرْسِلَ فِيْهِ النَّبِيّ الْعَرَبِيّ، وَكُلُّهُمْ قَدْ لاَقَى شَدَائِدَ وَأَهْوَالاً، بَيْدَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ لَقِيَ مِنْ صُنُوْفِ الإِيْذَاءِ الْشَّدَائِدَ مَا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَاضْطَلَعَ بِأَعْظَمِ الأَعْبَاءِ وَاحْتَمَلَ أَكْبَرَ الْمَسْؤُوْلِيَّاتِ..."[١].

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "قال سير وليم موير فِي كِتَابِهِ " سِيْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ": امْتَازَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِوُضُوْحِ كَلاَمِهِ، وَيُسْرِ دِيْنِهِ، وَأَنَّهُ أَتَمَّ مِنَ الأَعْمَالِ مَا يُدْهِشُ الأَلْبَابَ، فَلَمْ يَشْهَدِ الْتَّارِيْخُ مُصْلِحًا أَيْقَظَ النُّفُوْسَ، وَأَحْيَا الأَخْلاَقَ، وَرَفَعَ شَأْنَ الْفَضِيْلَةِ فِي زَمَنٍ قَصِيْرٍ كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ"[٢].

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْنَّبِيّ ﷺ: "هَذَّبَ الأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي ضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْجَهْلِ قَبْلَ الإِسْلاَمِ حَتَّى أَصْبَحَتْ مَنَارَ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ لِلْعَالَمِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُوْلُ كَارْلِيل: قَوْمٌ يَضْرِبُوْنَ فِي الْصَّحْرَاءِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُمْ عِدَّةَ قُرُوْنٍ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْنَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ أَصْبَحُوْا قِبْلَةَ الأَنْظَارِ فِي الْعُلُوْمِ وَالْعِرْفَانِ، وَكَثُرُوْا بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَعَزُّوْا بَعْدَ الْذِّلَّةِ ، وَلَمْ يَمْضِ قَرْنٌ حَتَّى اسْتَضَاءَتْ أَطْرَافُ الأَرَضِيْنَ بِعُقُوْلِهِمْ وَعُلُوْمِهِمْ"[٣].

سابعًا: لاَ يُحَكِّمُ الْعَقْلَ فِي الْنَّقْلِ مَعَ إِيْرَادِهِ لِجُمْلَةٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ الْدَّلاَئِلِ الْعَقْلِيَّةِ.

جَمَعَ الْمُصَنِّفُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بَيْنَ إِيْرَادِ الْدَّلاَئِلِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْنُّقُوْلِ الْنَّصِّيَّةِ عَلَى وَجْهٍ مُحْكَمٍ، فَلَمْ يُحَكِّمْ الْعَقْلَ فِي الْنَّقْلِ، وَلَمْ يَسْلُكْ فِي جَمْعِهِ هَذَا هَيْمَنَةَ الْدَّلاَئِلِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى الْدَّلاَئِلِ الْنَّصِّيَّةِ كَمَا فَعَلَ كَثِيْرٌ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَنْ سَبَقُوْهُ.

أَمَّا الْمُصَنِّفُ فَلَمْ تَتَلَطَّخْ يَدَاهُ بِهَذَا الْعَمَلِ الْخَاطِئِ وَالْفِعْلِ الْقَاصِرِ، وَأَوْرَدَ الْنُّصُوْصَ الْشَّرْعِيَّةَ بِقُوَّةٍ وَثَبَاتٍ، وَلَمْ يُعَطِّلْهَا بِدَعْوَى تَأْوِيْلٍ بَاطِلٍ أَوْ ضَعْفٍ أَمَامَ مَا يَنْفُثُ بِهِ الْمُسْتَشْرِقُوْنَ بِفِكْرِهِمْ الْقَاصِرِ، وَفَعَلَ الْمُصَنِّفُ ذَلِكَ فِي حَدِيْثِهِ فِي الْمُعْجِزَاتِ الْنَّبَوِيَّةِ، وَفِي تَعَدُّدِ الْزَّوْجَاتِ، وَالْحِجَابِ، وَالْمِيْرَاثِ ، وَتَوَلِّي الْمَرْأَةِ الْحُكْمَ، وَشَهَادَةِ الْمَرْأَةِ، وَأَحْكَامِ الْجِهَادِ... إِلَى آخِرِ مَا أَوْرَدَهُ فِي الْفَصْلِ الْسَّابِعِ مِنْ كِتَابِهِ[٤].

وَنَاقَشَ فِي كِتَابِهِ قَضَايَا كَانَتْ تَشْغَلُ الْمُجْتَمَعَ فِي عَصْرِهِ:

١- قَضِيَّةُ الْمَرْأَةِ، وَتَطَرَّقَ لِعِدَّةِ أُمُوْرٍ تَتَعَلَّقُ بِالْمَرْأَةِ[٥]:

أ- إِنْصَافُ الْمَرْأَةِ وَرَفْعُ شَأْنِهَا فِي الإِسْلاَمِ بِوَصْفِهَا بِنْتًا، وَزَوْجَةً، وَأُمًّا، وَعُضْوًا فِي الْمُجْتَمَعِ الإِنْسَانِي؛ وَبَيَّنَ كَيْفَ اعْتَنَى الإِسْلاَمُ بِحُقُوْقِ الْمَرْأَةِ، وَكَيْفَ كَرَّمَهَا وَأَعْلَى مِنْ شَأْنِهَا، وَأَعْطَاهَا مِنَ الْحُقُوْقِ مَالَمْ تَجِدْهُ الْمَرْأَةُ فِي قَانُوْنٍ مِنَ الْقَوَانِيْنِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَعَقَدَ مُقَارَنَةً بَيْنَ مُعَامَلَةِ الأُمَمِ الْسَّابِقَةِ لِلْمَرْأَةِ وَمُعَامَلَةِ الإِسْلاَمِ لَهَا؛ وَبَيَّنَ رِفْعَةَ الإِسْلاَمِ وَمُوَافَقَتَهُ لِلْفِطَرِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا قَالَهُ: "وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْنَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ فِي وَقْتٍ كَانَ وَأْدُ الْبَنَاتِ فِيْهِ عَادَةً لِبَعْضِ الْقَبَائِلِ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي قُطْرٍ آخَرَ أَيّ نِظَامٍ يُخَوِّلُ الْمَرْأَةَ شَيْئًا مِنْ حَقِّهَا سَوَاءٌ كَانَتْ بِنْتًا أَمْ زَوْجَةً أَمْ أُمًّا، فَأَتَى بِشَرِيْعَةٍ مَنَحَتِ الْمَرْأَةَ حُقُوْقًا لَمْ تَعْتَرِفْ بِبَعْضِهَا الْبِلاَدُ الْغَرْبِيَّةُ إِلاَّ فِي الْقَرْنِ الْتَّاسِعَ عَشَر بَعْدَ كِفَاحٍ شَدِيْدٍ"[٦].

---

(١) انظر: ص ٦٤ وما بعدها.
(٢) مُحَمَّد رسول الله ﷺ المثل الكامل، ص ١٠١.
(٣) المرجع السابق: ص ١٠٣.
(٤) (ص: ٢٣٣).
(٥) (ص١٦٥- ص١٩٦).
(٦) (ص: ١٦٧).

ب- قَضِيَّةُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ[١]، فَذَكَرَ أَسْبَابَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ وَأَنَّهُ سَبِيْلٌ لِلْخُرُوْجِ مِنَ الانْغِمَاسِ فِي حَمَأَةِ الرَّذَائِلِ، لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى النَّسْلِ وَنُمُوِّ الْعَدَدِ.

ثُمَّ رَدَّ عَلَى الْشُّبَهِ الَّتِي يُثِيْرُهَا أَعْدَاءُ الإِسْلاَمِ، فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِتَعَدُّدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَوَاجِهِ؛ فَذَكَرَ أَسْبَابًا عَامَّةً، وَأَسْبَابًا خَاصَّةً.

ج- قَضِيَّةُ الْطَّلاَقِ[٢]، وَبَيَّنَ أَنَّهُ مُبَاحٌ فِي شَرِيْعَةِ الإِسْلاَمِ، وَبَيَّنَ أَسْبَابَ إِبَاحَتِهِ.

د- الْحِجَابُ[٣]، وَبَيَّنَ أَنَّهُ شَرَفٌ لِلْمَرْأَةِ، وَحِفَاظٌ لِكَرَامَتِهَا، وَبَيَّنَ أَنَّ أَمْرَ الْمَرْأَةِ بِالْحِجَابِ لَمْ يَكُنْ مَانِعًا لَهَا مِنْ مُمَارَسَةِ حُقُوْقِهَا بِشَكْلٍ طَبِيْعِيٍّ.

وَبَيَّنَ أَنَّ الْيَهُوْدَ وَالْنَّصَارَى عَامَلُوْا الْمَرْأَةَ بِأَشَدّ مِمَّا يَتَّهِمُوْنَ بِهِ الإِسْلاَمَ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ حَيْثُ قَالَ[٤]: "قَضَتِ الأَوَامِرُ الْكَنِسِيَّةُ الأَرْثُوْذكْسِيَّةُ بِحِرْمَانِ الْمَرْأَةِ حَقَّهَا فِي الْمُجْتَمَعِ، فَحَضَرَتْ عَلَيْهَا حُضُوْرَ الْمَآدِبِ وَالْحَفَلاَتِ، وَأَلْزَمَتِ الْحِجَابَ صَامِتَاتٍ صَابِرَاتٍ، لاَ شَأْنَ لَهُنَّ إِلاَّ طَاعَةُ أَزْوَاجِهِنَّ، وَالْقِيَامُ بِالْغَزْلِ وَالْنَّسْجِ وَالْطَّهْيِ..".

بَلْ ذَكَرَ أَنَّ الْعَرَبَ بِحُكْمِ طِبَاعِهِمْ مِنَ الْفُرُوْسِيَّةِ وَالْشَّجَاعَةِ كَانُوْا يُجِلُّوْنَ الْمَرْأَةَ، وَيَحْتَرِمُوْنَهَا، وَيُعْلُوْنَ قَدْرَهَا، عَلَى خِلاَفِ مَا عَلَيْهِ الْيَهُوْدُ وَالْنَّصَارَى.

٢- قَضِيَّةُ الْرِّقِ فِي الإِسْلاَمِ[٥]:

وَبَيَّنَ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ أَنَّ الْرِّقَّ كَانَ مَوْجُوْدًا مُنْذُ الْقِدَمِ عِنْدَ مُعْظَمِ الأُمَمِ، عَلَى اخْتِلاَفٍ بَيْنَهُمْ فِي أَخْلاَقِهِمْ وَتَعَامُلِهِمْ مَعَ الْرَّقِيْقِ، ثُمَّ أَثْبَتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ كَرَّمَ الْرَّقِيْقَ وَأَعْطَاهُ مِنَ الْحُقُوْقِ مَالَمْ تُعْطِهِ حَتَّى الأُمَمُ الْمُدَّعِيَةُ لِلْحَضَارَةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ.

وَتَطَرَّقَ لِلْرِّقِ (عِنْدَ الْمِصْرِيِّيْنَ وَالْهُنُوْدِ، وَعِنْدَ الأَشُوْرِيِّيْنَ وَالْصِّيْنِيِّينَ وَالإِغْرِيْقِ وَالْرُّوْمَانِ، وَالاسْتِرْقَاقِ فِي الْقُرُوْنِ الْوُسْطَى، وَفِي الأَزْمِنَةِ الْحَدِيْثَةِ، وَالْقَانُوْنِ الأَسْوَدِ، وَالاسْتِرْقَاقِ فِي الْدِّيَانَةِ الْمَسِيْحِيَّةِ، وَخَتَمَ كُلَّ ذَلِكَ بِالْرِّقِ فِي الإِسْلاَمِ)، مُبَيِّنًا أَنَّ الإِسْلاَمَ جَاءَ وَالْرِّقُّ مُوْجُوْدٌ، لَكِنَّهُ ضَيَّقَ مِنْ سُبُلِ الْرِّقِ، وَقَلَّلَ مِنْهُ عَنْ طَرِيْقِ أَمْرَيْنِ:

الأَوَّلُ: جَعَلَ سَبِيْلَ الْرِّقِ وَتَوَاجُدَهُ فِي الإِسْلاَمِ وَاحِدًا، وَهُوَ الْمُحَارَبَةُ الْشَّرْعِيَّةُ الْمُنَظَّمَةُ لِقَوْمٍ كَافِرِيْنَ بَعْدَ عَرْضِ الإِسْلاَمِ عَلَيْهِمْ أَوَّلاً، ثُمَّ الْجِزْيَةَ.

الْثَّانِي: جَعَلَ سُبُلَ الْتَّحَرُّرِ مِنَ الْرِّقِ كَثِيْرَةً أَوْصَلَهَا إِلَى ثَمَانِ بِقَاطٍ.

ثَامِنًا: اهْتِمَامُهُ الْبَالِغُ بِسَبْكِ كِتَابِهِ بِقَلاَئِدِ لُغَةِ الْعَاطِفَةِ وَالْحَمَاسَةِ:

كَتَبَ الْمُصَنِّفُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ كِتَابَهُ بِلُغَةٍ عَاطِفِةٍ جَمِيْلَةٍ جَيَّاشَةٍ الَّتِي لاَ تَخْطِئُهَا الْعَيْنُ فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ، يَشُوْبُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِحَمَاسٍ جَمِيْلٍ وَانْدِفَاعٍ جَلِيْلٍ فِي مَحَبَّةِ الْنَّبِيِّ ﷺ، وَإِجْلاَلِهِ، وَتَعْظِيْمِهِ.

وَلَمْ يَكْتَفِ بِتِلْكَ الْعَاطِفَةِ حَتَّى مَزَجَهَا بِنُوْرِ الْنُّصُوْصِ وَضَوَابِطِ الْعَقْلِ، فَجَاءَ كِتَابُهُ جَامِعًا لِكُلِّ تِلْكَ الْثَّلاَثَةِ عَلَى وَجْهِ الْجَمَالِ وَالإِبْدَاعِ، وَنَلْحَظُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعَانِي الْجَلِيْلَةِ كَمِثَالِ مَا جَاءَ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ[٦] مِنْ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: تَحْتَ عُنْوَان: الأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، قَالَ:

" نَشَأَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَوْحَدَ الْنَّاسِ عِفَّةً، وَأَشْرَفَهُمْ قَصْدًا، وَأَحْكَمَهُمْ كَلاَمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيْثًا، وَأَسْمَاهُمْ أَمَانَةً وَسِيْرَةً. جُمِعَتْ فِي نَفْسِهِ كُلَّ خِلاَلِ الْخَيْرِ.... حَتَّى كَانَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَذَا قُوَّةٌ تَخِرُّ أَمَامَهَا شُمّ الْرَّوَاسِي، وَنُوْرٌ سَاطِعٌ سَارَ فِي ضَوْئِهِ الْدَّانِي وَالْقَاصِي، ... وَإِلَيْكَ الأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ، وَالْبَرَاهِيْنُ الْسَّاطِعَةُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَإِثْبَاتِ رِسَالَتِهِ، قَدِ اسْتَخْلَصْتُهَا مِنْ صَحِيْحِ سِيْرَتِهِ ﷺ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

عَقْلِيَّةٌ: يُدْرِكُهَا ذَوُو الْبَصَائِرِ، وَيَقْرَأُهَا أُوْلُوْ الأَلْبَابِ.

وَحِسِّيَّةٌ: أَجْرَاهَا الْحَكِيْمُ الْعَلِيْمُ عَلَى يَدِ مُجْتَبَاهُ تَحَدِّيًا لِمُعَارِضِيْهِ، وَتَأْيِيْدًا لِمَا جَاءَ بِهِ.

---

(١) (ص١٧٦- ص١٨٣).
(٢) (ص١٨٤- ص١٨٧).
(٣) (ص١٨٨- ص١٩٦).
(٤) ص: ١٨٩.
(٥) (ص ١٩٦- ٢١١).
(٦) انظر: من ٩٦ – ١٥٧، بتصرف.

(أ) الأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ:

١- احْتِمَالُهُ صُنُوْفَ الأَذَى:

مَنْ تَمَثَّلَ فِي ذِهْنِهِ ثَبَاتُ الْمُصْطَفَى ﷺ؛ وَاحْتِمَالُهُ صُنُوْفَ الأَذَى مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، لاَ يُدَاخِلُهُ الرَّيْبُ فِي أَنَّهُ صَادِقٌ فِي أَمْرِهِ، مُسْتَيْقِنٌ مِنْ نَفْسِهِ، مُبَرَّءًا مِنْ سِمَاتِ الْمُرْتَابِيْنَ وَمَخَايِلِ الْمُفْتَرِيْنَ قَبْلَ بِعْثَتِهِ.

٢- اشْتِهَارُهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ فِي نَشْأَتِهِ:

عُرِفَ ﷺ بَيْنَ قَوْمِهِ قَبْلَ رِسَالَتِهِ بِجَمِيْعِ الْخِصَالِ السَّنِيَّةِ، وَالْصِّفَاتِ الْكَرِيْمَةِ، حَتَّى سُمِّيَ بِالأَمِيْنِ. وَلَمْ يُجَرِّبْ عَلَيْهِ قَوْمُهُ كَذِبَةً، وَلاَ عَرَفُوْا عَنْهُ زَلَّةً أَوْ هَفْوَةً. وَلَوْ عَرَفُوْا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مَا وَسِعَهُ أَنْ يُسَفِّهَ أَحْلاَمَهُمْ وَيَسُبَّ آلِهَتَهُمْ، غَيْرَ خَائِفٍ مِمَّا يُخْجِلُهُ... عَلَى أَنَّ الَّذِيْنَ عَاشَرُوْهُ قَدْ شَاهَدُوْا فِي كَلاَمِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ مَا مَلأَ قُلُوْبَهُمْ يَقِيْنًا بِأَنَّهُ صَادِقٌ جَاءَ يُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ بِوَحْيِهِ. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الأَعْرَابِ أَسْلَمَ حِيْنَ رَآهُ، وَقَالَ: " وَاللهِ مَا هَذَا الْوَجْهُ بِوَجْهِ كَذَّابٍ "[1].

وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْسُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ أَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ فِي دَعْوَى الْنُّبُوَّةِ كَاذِبًا، أَوْ يَنْصُرَ مُبْطِلاً... وَقَدْ شَهِدَ الأَعْدَاءُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أُوْتِيَ مِنَ الْنَّصْرِ مَالَمْ يُؤْتَهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ وَلاَ مِنْ بَعْدِهِ.

هَذَا إِلَى أَنَّ مَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، وَمَعْرُوْفٌ أَوْ مُنْكَرٌ، مُسَلَّمٌ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِطْرَةِ الْسَّلِيْمَةِ، وَالْعَقْلِ الْصَّحِيْحِ.

٣-شِدَّةُ خَوْفِهِ مِنْ عَظَمَةِ رَبِّهِ، وَنِسْبَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ:

"ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى ﷺ، ظَلَّ طِوَالَ حَيَاتِهِ يُرَاقِبُ اللهَ وَيَخْشَاهُ فِي جَمِيْعِ الأُمُوْرِ... وَمِنْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي جَمِيْعِ شُؤُنِهِ لاَ يَنْظُرُ إِلاَّ إِلَى اللهِ، وَلاَ يَسْتَمِدّ الْمَعُوْنَةَ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَلاَ يَرَى لِنَفْسِهِ وَلاَ لِغَيْرِهِ حَوْلاً وَلاَ قُوَّةً، وَلاَ غَرْوَ: فَمُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرُ أُسْوَةٍ، وَأَعْلَى قُدْرَةٍ".

٤-انْتِشَارُ الإِسْلاَمِ بِسُرْعَةٍ:

"انْتِشَارُ الإِسْلاَمِ – بِمَا لَمْ يُسْبَقْ لَهُ مَثِيْلٌ – فِي أَقَلّ مِنْ قَرْنٍ، آيَةٌ كُبْرَى عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَصِحَّتِهَا، فَقَدْ رَحَّبَتْ بِهِ الْقُلُوْبُ، وَتَسَابَقَتْ إِلَيْهِ النُّفُوْسُ، وَعَمَّ نُوْرَهُ الأَرْجَاءَ، وَعَقَدَ شُعَاعُهُ الْشِّمَالَ بِالْجَنُوْبِ، وَالْشَّرْقَ بِالْغَرْبِ، فَأَصْبَحَ لِدَوْلَةِ الْعَرَبِ قَدَمٌ فِي الْهِنْدِ، وَأُخْرَى فِي الأَنْدَلُسِ، وَانْتَفَعَ الْعَالَمُ دُهُوْرًا كَثِيْرَةً بِمَا فِي الإِسْلاَمِ مِنَ الْنُّبْلِ، وَالْبَأْسِ، وَالْنَّجْدَةِ، وَالْحَقِّ، وَالْهُدَى، وَالْمَدَنِيَّةِ الْصَّحِيْحَةِ، حَتَّى نَعَتَهُ الْغَرْبِيُّوْنَ بِأَنَّهُ أُسْتَاذُ الْمَدَنِيَّةِ فِي أُوْرُوْبَّةَ".

٥-حِرْصُهُ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَمُغَامَرَتُهُ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ:

"حَسْبُكَ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ مَا لاَقَاهُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَمَا كَانَ يُلاَقِيْهِ عِنْدَ عَرْضِهِ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ، وَمَا أُوْذِيَ بِهِ حِيْنَمَا ذَهَبَ إِلَى أَهْلِ الْطَّائِفِ يَدْعُوْهُمْ إِلَى اللهِ... لاَ رَيْبَ فِي أَنَّ هَذَا دَلِيْلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الْدَّعْوَةَ مَلَكَتْ عَلَيْهِ حَوَاسَّهُ وَقَلْبَهُ؛ فَهَانَ مَعَهَا مَا لَقِيَهُ مِنَ الْتَّأْنِيْبِ وَالْتَّكْذِيْبِ وَالإِرْهَابِ.

وَمُحَالٌ عَقْلاً أَنْ يَصْبِرَ دَاعٍ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الأَهْوَالِ إِنْ كَانَ شَاكًّا فِي أَمْرِهِ، أَوْ مُرْتَابًا فِي دَعْوَتِهِ فِي صَدْقِ دَعْوَتِهِ".

٦-إِخْبَارُهُ بِالْمُغَيَّبَاتِ:

"أَخْبَرَ ﷺ بِالأُمُوْرِ الْغَيْبِيَّةِ عَلَى لِسَانِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: إِذْ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا

(1) رواه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجة (٣٢٥١). وذكره الألباني في الصحيحة برقم (٥٦٩) من حديث عَبْدِاللهِ بْنِ سَلاَم ﷺ قَالَ: (" لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ " ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: " قَدِمَ رَسُولُ اللهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ "، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ " وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ ").

تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ[1]، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الْوَعْدُ.

وَقَوْلُهُ: إِذْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ[2].

وَقَوْلُهُ: إِذْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ[3]، فَكَانَ كُلّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِهِ، وَأَبْلَغِ مَعَانِيهِ.

وَفِي هَذَا الْبَابِ إِخْبَارُهُ عَنْ مَكْنُونِ الضَّمَائِرِ وَمَخْبُوءِ النُّفُوسِ، بِلِسَانِ الْقُرْآنِ أَيْضًا، مِثْلَ قَوْلِهِ: إِذْ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ[4]، أَلَيْسَ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْقَوِيَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ أُمِّيِّينَ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ مِنَ الشُّئُونِ الْغَيْبِيَّةِ، دُونَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ بَشَرٍ؟

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: إِذْ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ[5].

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقَرَّ لَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِصِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ، كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ: إِذْ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا بَعْدَ[6]".

٧-اهْتِمَامُهُ ﷺ بِسَعَادَةِ أُمَّتِهِ:

"اهْتَمَّ ﷺ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ فِي دِيْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، حَتَّى قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: إِذْ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ بَعْدَ[7].

وَاشْتَدَّ حِرْصُهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَتَعْلِيمِهِمْ الْقَوَانِيْنَ الْعَادِلَةَ، وَالْشَّرِيْعَةَ الْفَاضِلَةَ، الَّتِي رَفَعَتْ أَهْلَهَا إِلَى أَوْجِ الْعِزَّةِ وَالْرِفْعَةِ أَيَّامَ كَانُوْا مُتَمَسِّكِيْنَ بِهَا.

وَلاَ يَسُوْغُ فِي نَظَرِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، أَنَّ الْنَّفْسَ الَّتِي تَكَادُ تَهْلَكُ حِرْصًا عَلَى إِسْعَادِ غَيْرِهَا تَكُوْنُ نَفْسًا كَاذِبَةً، بَلْ لاَبُدَّ أَنْ تَكُوْنَ مُتَعَلِّقَةً بِالمَلأ الأَعْلَى، رَاسِخَةً فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوْتِ الْرِّفْعَةِ وَالْجَلاَلِ".

٨- تَجَرُّدُ نَفْسِهِ ﷺ مِنَ الحُظُوْظِ الْبَشَرِيَّةِ:

"أَلاَ تَرَى أَنَّهُ لَمَّا شُجَّ وَجْهُهُ ﷺ فِي يَوْمِ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، وَحَلَّ بِهِ مَا يَذْهَبُ بِلُبِّ الْحَلِيمِ، وَرَشَدِ الْحَكِيمِ، لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنِ اعْتَذَرَ لَهُمْ مِمَّا فَعَلُوْا، فَقَالَ: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وَبِهَذَا اسْتَحَقَّ أَنْ

(١) سورة النور، الآية ٥٥.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٣) سورة القمر، الآية ٤٥.
(٤) سورة المجادلة، الآية ٨.
(٥) سورة هود، الآية ٤٩.
(٦) سورة المائدة، الآية ٨٣.
(٧) سورة فاطر، الآية ٨.

يَقُوْلَ اللهُ فِي حَقِّهِ: ﴿إِذْ يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]".

٩-فَرْطُ حَثِّهِ عَلَى تَطْهِيْرِ النُّفُوْسِ مِنَ الأَرْجَاسِ الطَّبْعِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَوْحَالِ الشَّهَوَاتِ الْبَهِيْمِيَّةِ، وَاتِّخَاذِهِ أَنْجَعَ الْوَسَائِلِ لِتَحْقِيْقِ غَرَضِهِ الأَسْمَى.

وَقَدْ ذَكَرَ – رَحِمَهُ اللهُ - فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَافِرَةً مِنَ الآيَاتِ الْكَرِيْمَاتِ الَّتِي تَخُصُّ عَلَى تَطْهِيْرِ النَّفْسِ وَتَجْمِيْلِهَا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

ثُمَّ عَقَّبَ بِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الأَحَادِيْثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيْفَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ[2]:

"وَمِثْلُ هَذَا لاَ يَصْدُرُ إِلاَّ عَنْ نَفْسٍ قُدُسِيَّةٍ، وَرُوْحٍ مَلَكُوْتِيَّةٍ، قَدْ تَخَلَّصَتْ مِنْ قُيُوْدِ الأَهْوَاءِ، وَتَحَرَّرَتْ مِنْ عُبُوْدِيَّةِ الشُّهْرَةِ الْشَّخْصِيَّةِ...

وَلَقَدْ اجْتَمَعَ كُلُّ ذَلِكَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ ظَلَّ طُوْلَ حَيَاتِهِ رَاسِخَ الْمَبْدَأ، صَادِقَ الْعَزْمِ، بَعِيْدَ الْهِمَّةِ، كَرِيْمًا بَرًّا، رَؤُوْفًا تَقِيًّا، فَاضِلاً مُخْلِصًا، شَدِيْدَ الْجِدِّ، سَهْلَ الْجَانِبِ، جَمَّ الْبِشْرِ وَالْطَّلاَقَةِ، حَمِيْدَ الْعِشْرَةِ، حُلْوَ الإِيْنَاسِ، رَحِيْمَ الْقَلْبِ، وَقَدْ يُمَازِحُ وَيُدَاعِبُ وَلاَ يَقُوْلُ إِلاَّ حَقًّا، شَهْمُ الْفُؤَادِ، يَفِيْضُ النُّوْرُ مِنْ جَوَانِبِهِ، لَمْ تُثَقِّفْهُ مَدْرَسَةٌ، وَلَمْ يَتَخَرَّجْ فِي جَامِعَةٍ، وَلَمْ يُهَذِّبْهُ أُسْتَاذٌ، وَكَفَى بِاللهِ مُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا".

١٠- وَصْفُهُ ﷺ أَمْرَاضَ الْمُجْتَمَعِ وَدَوَاءَهُ:

"أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْعِلْمِ بِأَحْوَالِ الإِنْسَانِ وَشُئُوْنِهِ مَا لاَ يَحُدُّهُ الْعِلْمُ: فَرَسَمَ لِكُلِّ طَرِيْقًا تُنَاسِبُهُ، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يُعَامِلُ اللهَ مُعَامَلَةً يَرْقَى بِهَا إِحْسَاسُهُ، وَيَصْفُوْ بِهَا قَلْبُهُ، وَهَدَاهُ إِلَى مُعَامَلَتِهِ لِأُسْرَتِهِ مُعَامَلَةً تَسْتَقِيْمَ بِهَا حَالُهُ، وَيَنْعَمَ بِهَا عَيْشُهُ، وَدَلَّهُ عَلَى مُعَامَلَةِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلاَفِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ مُعَامَلَةً يَعِيْشُ بِهَا هَادِئًا مُطْمَئِنًّا فِيْمَا بَيْنَهُمْ".

١١- عَجْزُ الْعَرَبِ عَنْ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ[3] الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﷺ:

"كَانَ الْعَرَبُ أُمَرَاءَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلاَغَةِ، وَمَا كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى تَكْذِيْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ، لِأَنَّهُ سَفَّهَ أَحْلاَمَهُمْ، وَنَكَّسَ أَصْنَامَهُمْ، وَشَدَّدَ فِي تَوْبِيْخِهِمْ وَتَأْثِيْمِهِمْ... وَإِذَا عَجَزَ الْعَرَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى غَيْرِهِمْ".

"... وَلَعَمْرِي لَوْ كَانَتْ بَلاَغَةُ الْقُرْآنِ غَيْرَ مُعْجِزَةٍ فِي أَسَالِيْبِهَا الَّتِي أُلْقِيَتْ إِلَيْهِمْ، لَخَلاَ مِنْهُ مَوْضِعُهُ الَّذِي هُوَ فِيْهِ، وَكَانَ سَبِيْلُهُ بَيْنَهُمْ سَبِيْلَ الْقَصَائِدِ وَالْخُطَبِ وَالأَقَاصِيْصِ، وَلَنَقَضُوْهُ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَآيَةً آيَةً، دُوْنَ أَنْ تَتَخَاذَلَ أَزْوَاجُهُمْ، أَوْ تَتَرَاجَعَ طِبَاعُهُمْ... وَإِنَّ حَالَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَسِيْرَتَهُ لَتَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ بَعِيْدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ تَلْفِيْقِ الْمُعْجِزَاتِ، بَلْ كَانَ يَعْمَلُ دَائِمًا عَلَى أَلاَّ يَعْتَمِدَ عَلَى قُوَّتِهَا... بَلْ تَرَفَّعَ عَنِ ادِّعَائِهَا لِنَفْسِهِ.

وَكَانَ مِنْ رَأْيِهِ ﷺ أَنَّ الْبَشَرَ لَيْسَ فِي مُكْنَتِهِمْ تَمْيِيْزُ الْمُعْجِزَاتِ الصَّحِيْحَةِ مِنَ الْبَاطِلَةِ، وَأَنَّ الأَشْرَارَ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَأْتُوْنَ بِخَوَارِقَ عَنْ طَرِيْقِ السِّحْرِ وَغَيْرِهِ.

كَانَ ﷺ يَقُوْلُ لَهُمْ – أَيْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ – إِنَّ الْمُعْجِزَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَيْسَتْ مِنْ عَمَلِ الْبَشَرِ، وَإِنَّهَا لاَ تَأْتِي بِمَحْضِ إِرَادَةِ الأَنْبِيَاءِ، بَلْ إِنَّ اللهَ يُجْرِيْهَا مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، لاَ لِيُؤَيِّدَ بِهَا الْحَقَّ فَحَسْبُ، بَلْ لِيَبْلُوَ بِهَا عَبِيْدَهُ أَحْيَانًا".

١٢- تَأْيِيْدُ اللهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَخُذْلاَنُ أَعْدَائِهِ:

"أَيَّدَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَعَصَمَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَهُمُ الْجَمُّ الْغَفِيْرُ، وَالْعَدَدُ الْكَثِيْرُ، وَهُمْ أَحْنَقَ مَا كَانُوْا عَلَيْهِ، وَأَشَدّ طَلَبًا لِنَفْسِهِ، وَهُوَ بَيْنَهُمْ مُسْتَرْسِلٌ قَاهِرٌ، وَلَهُمْ مُخَالِطٌ وَمُكَاثِرٌ، تَرْمُقُهُ أَبْصَارُهُمْ شَزَرًا، وَتَرْتَدُّ عَنْهُ أَيْدِيْهِمْ

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢) مُحَمَّد رسول الله ﷺ المثل الكامل، ص ١٠٥.

(٣) نَبَّهَ رَحِمَهُ اللهُ فِي ص ١١٣ إِلَى نُقْطَةٍ مُهِمَّةٍ فِي وَقْتِهِ، وَهِيَ، قَوْلُهُ: ولو تركنا التحيز جانبًا ونظرنا إلى القرآن بالعين التي ننظر بها إلى غيره من الكتب، لوجدناه يمتاز عن الإنجيل بحسن التشبيه والكناية والمجاز، على الرغم من أنه لا يستطيع أحد فهم القرآن حق الفهم من ترجمة كالتراجم التي بين أيدينا، فإن الترجمة الإنجليزية للقرآن مأخوذة عن الترجمة الفرنسية، وهذه فاسدة جدًّا لاحتوائها على الكثير من الحذف والتحريف والمسخ، أضف إلى هذا أن الأسلوب العربي تستحيل ترجمته من غير رجوع إلى التفاسير العربية أو الفارسية أو التركية التي يجهلها مترجمونا أو يتعمدون إغفالها، وبذا يدخلون على الناس كثيرًا من الاختلافات التي لم تصدر عن هذا النبي الكريم ﷺ، لقد نظرت كثيرًا فيما وجهه المسيحيون من الاعتراضات على القرآن، فلم أجدها تختلف في شيء عما وجه إلى الإنجيل.
وما دفع به المسيحيون عن أنفسهم يؤيد القرآن تأييدًا تامًا.

ذُعْرًا... لَقَدْ أَتَمَّ اللهُ التَّأْيِيْدَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فَمَكَّنَهُ مِنْ تَوْحِيْدِ أُمَّةٍ مُنْقَسِمَةٍ إِلَى قَبَائِلَ مُتَعَادِيَةٍ، وَجَاءَهَا بِقَانُوْنٍ كَفَلَ لَهَا السُّلْطَانَ عَلَى جَمِيْعِ الأُمَمِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي حَيِّزِ الْعَدَمِ، وَمَحَا الْعَقَائِدَ الْبَاطِلَةَ، وَأَبْدَلَ بِهَا دِيْنًا بَلَغَ مِنْ سُمُوِّ مَبَادِئِهِ أَنَّهُ لاَ يَزَالُ يَزِيْدُ وَيَنْمُوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ.

تَمَّتْ لَهُ هَذِهِ الأُمُوْرُ كُلُّهَا، وَلَمْ يَفْقِدْ مِنْ طَهَارَةِ نَفْسِهِ وَلاَ سُمُوِّ رُوْحِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَمْ تُفْتَنْ نَفْسُهُ الْطَّاهِرَةُ بِنَجَاحِهِ الْبَاهِرِ، مَعَ أَنَّ عُشْرَ مِعْشَارَ هَذَا النَّجَاحِ الْعَظِيْمِ قَدْ فَتَنَ كَثِيْرًا مِنَ الْمُلُوْكِ وَالْمُشَرِّعِيْنَ وَالْفَلاَسِفَةِ وَالْقُوَّادِ".

١٣- تَكَامُلُ الْفَضْلِ فِيْهِ:

"كَمَّلَهُ اللهُ بِالْفَضَائِلِ. وَحَسْبُكَ دَلِيْلاً، مَا يَلِي:

(أ) كَمَّلَهُ بِالْسَّكِيْنَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْهَيْبَةِ وَالْتَّعْظِيْمِ، فَكَانَ ﷺ أَعْظَمَ مَهِيْبٍ فِي الْنُّفُوْسِ، حَتَّى ارْتَاعَتْ رُسُلُ كِسْرَى مِنْ هَيْبَتِهِ حِيْنَ أَتَوْهُ، مَعَ ارْتِيَاضِهِمْ بِصَوْلَةِ الأَكَاسِرَةِ، وَعَظَمَةِ الْمُلُوْكِ الْجَبَابِرَةِ.

(ب) اسْتَحْكَمَتْ مَحَبَّتُهُ طَلاَقَتَهُ فِي الْنُّفُوْسِ حَتَّى لَمْ يَقْلِهِ مُصَاحِبٌ، وَلاَ تَبَاعَدَ عَنْهُ مُقَارِبٌ، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ.

(ت) مَالَتِ الْنُّفُوْسُ إِلَى مُتَابَعَتِهِ، وَانْقَادَتْ لِمُوَافَقَتِهِ، وَتَبَتَّتْ عَلَى شَدَائِدِهِ وَمُصَابَرَتِهِ، وَلَمْ يَنْفُرْ مِنْهُ مُعَانِدٌ، وَلاَ اسْتَوْحَشَ مِنْهُ مُبَاعِدٌ.

(ث) أُوْتِيَ رَجَاحَةً فِي الْعَقْلِ، وَعُلُوًّا فِي الْهِمَّةِ، وَصِدْقًا فِي الْفِرَاسَةِ، فَكَانَ دَائِمًا صَحِيْحَ الْرَّأْيِ، جَيِّدَ الْتَّدْبِيْرِ، مَا اسْتُغْفِلَ فِي مَكِيْدَةٍ، وَلاَ اسْتُعْجِزَ فِي شِدَّةٍ، بَلْ كَانَ يَلْحَظُ عَوَاقِبَ الأُمُوْرِ فِي الْمَبَادِئِ، فَيَكْشِفُ غُيُوْبَهَا، وَيُنْجِي مِنْ خُطُوْبِهَا.

(ج) كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ حَيَاةَ ثَبَاتٍ فِي الْشَّدَائِدِ. وَنَفْسُهُ فِي اخْتِلاَفِ الأَحْوَالِ سَاكِنَةً، لاَ يَتَحَيَّرُ فِي شِدَّةٍ، وَلاَ يَسْتَكِيْنُ لِعَظِيْمَةٍ أَوْ كَبِيْرَةٍ، وَكَانَ مَعَ قِلَّةِ أَعْوَانِهِ يُصَابِرُ صَبْرَ الْمُسْتَعْلِي، وَيَثْبُتُ ثَبَاتَ الْمُسْتَوْلِي.

(ح) إِعْرَاضُهُ ﷺ عَنْ زُخْرُفِ الْدُّنْيَا، وَالاكْتِفَاءُ بِالْكَافِي مِنْهَا: فَلَمْ يَمِلْ إِلَى غَضَارَتِهَا، وَلَمْ يَسْتَمْتِعْ بِحَلاَوَتِهَا، وَقَدْ مَلَكَ مِنْ أَقْصَى الْحِجَازِ إِلَى عِذَارِ الْفُرَاتِ، وَمِنْ أَقْصَى الْيَمَنِ إِلَى شِحْرِ عَمَّانَ، وَهُوَ ﷺ أَزْهَدُ الْنَّاسِ فِيْمَا يُقْتَنَى وَيُدَّخَرُ، وَأَعْرَضُهُمْ عَمَّا يُسْتَفَادُ وَيُحْتَكَرُ، لَمْ يُخَلِّفْ عَيْنًا، وَلَمْ يُوَرِّثْ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ مَتَاعًا وَلاَ مَالاً، لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ الْرَّغْبَةِ فِي الْدُّنْيَا كَمَا صَرَفَ نَفْسَهُ عَنْهَا.

(خ) خَفَضَ جَنَاحَهُ لِلْنَّاسِ وَهُمْ لَهُ أَتْبَاعٌ، فَكَانَ يَمْتَزِجُ بِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ، فَلاَ يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ إِلاَّ بِإِطْرَاقِهِ وَحَيَائِهِ، وَجَلِيْلِ سَمْتِهِ وَرَوَائِهِ. وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ بَعْضُ الأَعْرَابِ، فَارْتَاعَ مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقَالَ ﷺ: خَفِّضْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ بِمَكَّةَ[1]. وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا مِنْ شَرَفِ أَخْلاَقِهِ وَكَرِيْمِ شِيَمِهِ. فَهِيَ غَرِيْزَةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا، وَجِبِلَّةٌ طُبِعَ بِهَا، لَمْ تَنْدُرْ فَتُعَدّ، وَلَمْ تُحْصَرْ فَتُحَدّ.

(د) رَزَقَهُ اللهُ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ. وَلَقَدْ مُنِي بِجَفْوَةِ الأَعْرَابِ، وَهُمْ فِي الْجَفْوَةِ مَنْ هُمْ، فَلَمْ تُحْفَظْ عَلَيْهِ بَادِرَةٌ، وَلَمْ يُعْرَفْ حَلِيْمٌ غَيْرُهُ إِلاَّ ذُوْ عَثْرَةٍ، وَلاَ وَقُوْرٌ سِوَاهُ إِلاَّ لَهُ هَفْوَةٌ. أَمَّا هُوَ فَقَدْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَزْغِ الْهَوَى، وَطَيْشِ الْقُدْرَةِ.

(ذ) حَفِظَ ﷺ الْعَهْدَ، وَوَفَّى بِالْوَعْدِ، فَمَا نَقَضَ لِمُحَافِظٍ عَهْدًا، وَلاَ أَخْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعْدًا، بَلْ كَانَ يَرَى الْغَدْرَ مِنْ كَبَائِرِ الْذُّنُوْبِ... "[2].

(ر) أُوْتِيَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْعُلُوْمِ الْجَمَّةِ الْبَاهِرَةِ مَا بَهَرَ الْعُقُوْلَ، وَأَذْهَلَ الْفِطَنَ: مِنْ إِتْقَانِ مَا أَبَانَ، وَإِحْكَامِ مَا أَظْهَرَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أُمِّي مِنْ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ: لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا،

وَلاَ دَرَسَ عِلْمًا، وَلاَ صَحِبَ عَالِمًا وَلاَ مُعَلِّمًا. تَأَمَّلْ أَنَّهُ أَوْجَزَ الْمُرَادَ مِنْ شَرِيْعَتِهِ فِي أَحَادِيْثَ أَرْبَعَةٍ:

الأَوَّلُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى... "[3].

وَالْثَّانِي: " الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ... "[4].

---

(1) رواه ابن ماجه "٣٣١٢"، والحاكم في المستدرك "٣٧٣٣" وصححه الألباني في الصحيحة "١٨٧٦".

(٢) محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل، ص١٣١.

(3) يشير إلى حديث عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..". هذا الحديث أخرجه البخاري (٩/١)، ومسلم (١٥١٥/٣، ١٥١٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠)، والبخاري في كتاب الإيمان من صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ١٢٦)، ومسلم في كتاب المساقاة، من صحيحه،

وَالْثَّالِثُ: " مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ "[١].

وَالْرَّابِعُ: " دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ "[٢].

وَحَسْبُكَ هَذَا دَلِيْلاً عَلَى صَفَاءِ جَوْهَرِهِ، وَخُلُوْصِ مَخْبَرِهِ.

(ز) لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِنْ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ الأُمَمِ، وَأَخْبَارِ الْعَالَمِ فِي الأَحْقَابِ الْخَالِيَةِ صَغِيْرٌ وَلاَ كَبِيْرٌ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَضْبِطْهَا بِكِتَابٍ دَرَسَهُ، وَلَمْ يَتَلَقَّهَا عَنْ مُعَلِّمٍ لَقَّنَهُ، بَلْ عَلَّمَهُ اللهُ وَآتَاهُ ذِهْنًا صَحِيْحًا، وَصَدْرًا فَسِيْحًا، وَقَلْبًا شَرِيْحًا، وَتِلْكَ أَدَاةُ الْرِسَالَةِ، وَمِيْزَةُ الْنُّبُوَّةِ.

(س) أَيَّدَ شَرِيْعَتَهُ بِأَظْهَرِ دَلِيْلٍ، وَأَبَانَهَا بِأَوْضَحِ تَعْلِيْلٍ، فَمَا خَرَجَ مِنْهَا مَا يُوْجِبُهُ مَعْقُوْلٌ، وَلاَ دَخَلَ فِيْهَا مَا تَدْفَعُهُ الْعُقُوْلُ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ: " أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْكَلاَمُ اخْتِصَارًا "[٣].

(ش) أَمَرَ بِمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ، وَدَعَا إِلَى مُسْتَحْسَنِ الآدَابِ، وَحَثَّ عَلَى صِلَةِ الأَرْحَامِ، وَنَدَبَ إِلَى الْتَّعَطُّفِ عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَالأَيْتَامِ، وَنَهَى عَنِ الْتَّبَاغُضِ وَالْتَّحَاسُدِ، وَكَفَّ عَنِ الْتَّقَاطُعِ وَالْتَّبَاعُدِ...

(ص) كَانَ ﷺ وَاضِحَ الإِجَابَةِ ظَاهِرَ الْحُجَّةِ، فَلاَ يَحْصُرُهُ عِيٌّ، وَلاَ يَقْطَعُهُ عَجْزٌ، وَلاَ يُعَارِضُهُ خَصْمٌ فِي جِدَالٍ، إِلاَّ كَانَ جَوَابُهُ أَوْضَحَ، وَحِجَاجُهُ أَرْجَحَ.

(ض) حَفِظَ اللهُ لِسَانَهُ مِنْ تَحْرِيْفٍ فِي قَوْلٍ، أَوْ إِيْرَادِ خَبَرٍ يُجَانِبُ الْصِّدْقَ، وَلَمْ يَزَلْ ﷺ مَشْهُوْرًا بِالْصِّدْقِ فِي خَبَرِهِ نَاشِئًا وَكَبِيْرًا، حَتَّى صَارَ بِالْصِّدْقِ مَرْقُوْمًا، وَبِالأَمَانَةِ مَرْسُوْمًا، وَمَنْ لَزِمَ الْصِّدْقَ فِي صِغَرِهِ كَانَ لَهُ فِي الْكِبَرِ أَلْزَمَ، وَمَنْ عُصِمَ مِنْهُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ كَانَ فِي حُقُوْقِ اللهِ تَعَالَى أَعْصَمَ.

(ط) نَقَلَ أُمَّتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْدِّيْنِ عَنْ مَأْلُوْفِهَا، فَأَذْعَنَتْ لَهُ الْنُّفُوْسُ طَوْعًا، وَانْقَادَتْ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَاجْتَمَعَ الْرَّاغِبُوْنَ وَالْرَّاهِبُوْنَ عَلَى نُصْرَتِهِ، وَقَامُوْا بِحُقُوْقِ دَعْوَتِهِ، رَغَبًا فِي عَاجِلٍ وَآجِلٍ، وَرَهَبًا مِنْ زَائِلٍ وَنَازِلٍ، وَبِالْرَّغْبَةِ وَالْرَّهْبَةِ صَارَ الْدِّيْنُ مُسْتَقِرًّا، وَالْصَّلاَحُ بِهِمَا مُسْتَمِرًّا.

(ظ) أَمَرَ أُمَّتَهُ بِالاعْتِدَالِ: فَلَمْ يَمِلْ بِهِمْ إِلَى الْدُّنْيَا كَمَا رَغِبَتْ الْيَهُوْدُ، وَلاَ إِلَى رَفْضِهَا كَمَا تَرَهَّبَتْ الْنَّصَارَى... لِأَنَّ الانْقِطَاعَ إِلَى أَحَدِهِمَا اخْتِلاَلٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا اعْتِدَالٌ.

(ع) اتَّسَعَ زَمَنُهُ الْقَصِيْرُ لِنَشْرِ الْدَّعْوَةِ أَوَّلاً سِرًّا ثُمَّ جَهْرًا، وَلِلْحُرُوْبِ الَّتِي تَطَلَّبَتْهَا الْدَّعْوَةُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلِتَوْضِيحِ أَحْكَامِ الْدِّيْنِ، فَبَيَّنَ الْعِبَادَاتِ، وَأَوْضَحَ الْحَلاَلَ وَالْمُبَاحَ وَالْمَحْظُوْرَ، وَفَصَّلَ مَا يَجُوْزُ وَمَا يَمْنَعُ مِنْ عُقُوْدٍ وَمُعَامَلاَتٍ،... وَلَمْ يَحْتَجْ شَرْعُهُ إِلَى

باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١١/ ٢٧)، وأبو داود في كتاب البيوع من سننه، باب في اجتناب الشبهات برقم (٣٣٢٩)، (٣/ ٢٤٠)، والترمذي في كتاب البيوع من سننه، باب ما جاء في ترك الشبهات برقم (١٢٠٥)، والنسائي في كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات (٧/ ٢٤١)، والدارمي في كتاب البيوع في سننه، باب في الحلال بين ... برقم (٢٥٣٨)، (٢/ ٣١٩)، عن النعمان بن بشير ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وقال: "هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه" وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (٢٢٩)، والبغوي (٤١٣٢)، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١٩٢)، والخطيب في " تاريخه " ٤/ ٣٠٩ و٥/ ١٧٢ و١٢/ ٦٤ من حديث أبي هريرة ﷺ. وهو حديث صحيح بشواهده.

وأخرجه القضاعي (١٩١)، والطبراني في " الصغير " (٨٨٤) من حديث زيد بن ثابت ﷺ، قال الهيثمي في " المجمع " ٨/ ١٨: فيه مُحَمَّد بن كثير بن مروان، وهو ضعيف. ورواه أحمد١/ ٢٠١، والطبراني في "الكبير" (٢٨٨٦)، و"الصغير" (١٠٨٠)، و"الأوسط"، والقضاعي (١٩٤) من حديث الحسين بن علي ﷺ. قال الهيثمي ٨/ ١٨: ورجال أحمد و" الكبير " ثقات. ورواه مالك ٢/ ٩٠٣، ومن طريقه الترمذي (٢٣١٨)، والبغوي (٤١٣٣) من حديث علي بن الحسين مرسلاً. وقال: أحمد، وابن معين، والبخاري، والدارقطني: لا يصح إلاَّ عن علي بن الحسين مرسلاً.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٧٨)، وأحمد في المسند (١ ٢٠٠) و (٣ ١١٢)، والدارمي في سننه (٢٥٣٢ و٢٧٨٩)، والترمذي (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤١٦)، والنسائي (٨ ٣٢٧)، وفي الكبرى (٥٢٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦٧٦٢ و٧٤٩٢)، وابن خزيمة في الصحيح (٢٣٤٨)، والطبراني في الصغير (٢٨٤)، وفي الكبير (٢٧٠٨ و٢٧١١) و (٢٢ ٨١ برقم ١٩٧) و (٢٢ ١٤٧ برقم ٣٩٩)، وأبو الشيخ في طبقات أصبهان (١ ١٩١) و (٤ ٩١)، والحاكم في المستدرك (٢١٦٩)، وصححه الذهبي، وبرقم (٢١٧٠)، وبرقم (٧٠٤٦)، وقال الذهبي: "سنده قوي".
وأخرجه ابن حبان (٧٢٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢ ٢٢٠ و٣٨٦)، (٦ ٣٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٦٠١).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند ٢/ ٢٥٠، ٣١٤، ٤٤٢، ٥٠١، ومسلم في المساجد حديث ٧، ٨، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ١٤، وسعيد بن منصور في سننه ٢٨٦٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٤٨٠.

وأخرجه بلفظ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ». أحمد في المسند ٢/ ٢٦٤، ٤٥٥، والبخاري ٤/ ٦٥، ٩/ ٤٧، ١١٣، ومسلم في المساجد حديث ٦، والنسائي في المجتبى ٦/ ٣، ٤، والشهاب في مسنده ٥٧٠، ٥٧١.

شَرْعِ غَيْرِهِ، ثُمَّ مَهَّدَ لِشَرْعِهِ أُصُوْلاً تَدْخُلُ فِيْهَا أَحْكَامُ الْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، حَتَّى لاَ يَكُوْنَ فِي حُقُوْقِ اللهِ زَلَلٌ، وَلاَ فِي مَصَالِحِ الأَئِمَّةِ خَلَلٌ. كُلُّ ذَلِكَ فِي زَمَنٍ مُوْجَزٍ، ثَمَّ فِيْهِ هَذَا الأَمْرُ الْخَارِقُ الْمُعْجِزُ.

(ب) الأَدِلَّةُ الْحِسِّيَّةِ: إِلْمَامُهُ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَوَجْهُ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا.

ذَكَرَ – رَحِمَهُ اللهُ – ضَرُوْرَةَ الْمُعْجِزَةِ لِلرَّسُوْلِ، وَحَقِيْقَتَهَا، وَكَيْفِيَّةَ وُقُوْعِهَا لِلرَّسُوْلِ، وَأَنْوَاعَ الْمُعْجِزَاتِ، وَخَصَائِصَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، وَدَلاَئِلَ لِلرَّسُوْلِ تَقُوْمُ مَقَامَ الْمُعْجِزَاتِ.

ثُمَّ سَرَدَ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، مُبْتَدِأً بِالْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، ثُمَّ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، فَتَيْسِيْرِ الْمَاءِ لِقَوْمِهِ عَلَى يَدَيْهِ، فَتَكْثِيْرِهِ لِلأَطْعِمَةِ، فَشِفَائِهِ لِبَعْضِ الأَمْرَاضِ، ثُمَّ انْقِيَادِ الشَّجَرِ لَهُ، فَسُقُوْطِ الأَصْنَامِ بِإِشَارَةٍ مِنْ قَضِيْبٍ كَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ اسْتِجَابَةِ اللهِ لِدَعَوَاتِهِ ﷺ.

ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِحَادِثَةِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَقَدْ فَصَّلَ فِيْهِ تَفْصِيْلاً حَسَنًا، وَرَدَّ عَلَى الْمُنْكِرِيْنَ لَهُ، الَّذِيْنَ يُقَدِّمُوْنَ الْعَقْلَ عَلَى النَّقْلِ، وَذَكَرَ بَرَاهِيْنَ عَصْرِيَّةً عَلَى ذَلِكَ، وَأَدِلَّةً عَقْلِيَّةً وَنَقْلِيَّةً فِي كُلِّ ذَلِكَ.

تاسعًا: إِيْرَادُ الْقَوَاعِدِ[1] وَالْضَّوَابِطِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالأَخْبَارِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ:

أَكْثَرَ الْمُصَنِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنْ إِيْرَادِ قَوَاعِدِ الْعُلُوْمِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَضَوَابِطِهَا، وَأَوْرَدَ أَخْبَارًا كَثِيْرَةً مَعْرِفِيَّةً وَثَقَافِيَّةً، وَمَزَجَهَا مَزْجًا حَسَنًا بِأَخْبَارِ الْسِّيْرَةِ، وَكَانَ إِيْرَادُهُ لِمَا أَوْرَدَهُ بِدُوْنِ تَكَلُّفٍ وَلاَ ارْتِكَابِ شَطَطٍ، وَالْدَّلاَئِلُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيْرَةٌ مَبْثُوْثَةٌ فِي فُصُوْلِ كِتَابِهِ، وَهَذَا أَكْسَبَ كِتَابَهُ تَشْوِيْقًا، وَزَادَهُ قُوَّةً، وَأَضَافَ حُسْنًا إِلَى مَا فِيْهِ مِنْ حُسْنِ عَرْضٍ وَإِشْرَاقِ بَيَانٍ، وَجَمِيْلِ مَعَارِفَ، وَحُسْنِ أَخْبَارٍ فِي الْعُلُوْمِ وَالْفُنُوْنِ.

عاشرًا: لم يغفل في كتابه ما يحتاجه المسلم من بيان المقاصد الشرعية من العبادات، فنجده تكلم عن:

الوضوء، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وبين أسرار كل عبادة، وبين المقاصد الشرعية من فرضها، وأثرها على العبد والمجتمع [2].

الْمَبْحَثُ الخَامِسُ: مَا يُؤْخَذُ عَلَى الْكِتَابِ، وَهِيَ كَمَا يَلِي:

أَوَّلاً: إِيْرَادُ الأَحَادِيْثِ بِدُوْنِ تَخْرِيْجٍ وَلاَ تَحْقِيْقٍ وَلاَ حُكْمٍ، لَكِنَّهُ يُوْرِدُهَا بِلَفْظِهَا دُوْنَ تَصَرُّفٍ فِي أَلْفَاظِهَا على الأَغْلَبِ، وَكَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى شُهْرَتِهَا فَظَنَّهَا صَحِيْحَةً مَقْبُوْلَةً.

ثَانِيًا: إِيْرَادُ الأَحَادِيْثِ الْضَّعِيْفَةِ، والْمُتْرُوْكَةِ، وَالْمَوْضُوْعَةِ، كَإِيْرَادِهِ مَثَلاً الأَثَرَ الْتَّالِي:

١-" أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي "[3].

٢- "خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ "[4].

٣- "... إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ الْعَبْدَ الْمُتَمَيِّزَ عَنْ أَخِيْهِ "[5].

---

(١) انظر: كتابه، ص ١١٥.

(٢) ص: ١٥٣- ١٦٥.

(٣) الكتاب: ص ٨، و١٣.

أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص١، بلفظ "إن الله أدبني وأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" الآية ١٩٩ الأعراف، وابن الجوزي في العلل (١٧٨/١، رقم٢٨٤)، وقال: لا يصح، وفيه مجهولون وضعفاء، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٢٩ رقم ٤٥ "وإسناده منقطع فيه من لم أعرفه عن عبد الله أظنه ابن مسعود ﷺ. وإسناده ضعيف جداً، وإن اقتصر شيخنا - يعني الحافظ ابن حجر - على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، قال: ولكن معناه صحيح"، ونقل عن ابن الأثير نحو ذلك في النهاية في غريب الحديث ٨/١، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ص١٤، ورمز له بالصحة. ونقل في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص٤٣ تصحيح أبي الفضل ابن ناصر له، وانظر: فيض القدير للمناوي ٢٢٤/١، والفتاوى الحديثية للسخاوي ص٢٦٩ - ٢٧١، وكشف الخفاء للعجلوني ٦٢/١ رقم ١٦٤.

(٤) ص: ٦. قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٣١/١): "... منكر".

أخرجه الطبراني (٣ / ٢١٠ / ١) والعقيلي في " الضعفاء " (٤٥٨) وابن عدي (٧٤ / ٢ / ٣٠١ / ٢) وأبو نعيم في " دلائل النبوة " (ص ١٢) وكذا الحاكم (٤ / ٧٣ - ٧٤) وابن قدامة المقدسي في " العلو" (١٦٥ - ١٦٦) والعراقي في " محجة القرب إلى محبة العرب " (٢/ ٢٠١) من طريقين عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا: محمد بن ذكوان، قال النسائي: ليس بثقة، وضعفه الدارقطني وغيره، وقد قال العقيلي: إنه لا يتابع عليه، لكن أخرجه الحاكم من طريق أخرى عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مرفوعا مختصرا.

قلت: وفي سنده أبو سفيان زياد بن سهيل الحارثي ولم أجد له ترجمة.

والحديث أورده ابن أبي حاتم في " العلل " (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨) من الطريق الأول وقال عن أبيه: إنه حديث منكر، وأقره الذهبي في ترجمة ابن ذكوان من " الميزان ١٣٣/٥".

(٥) ص:١٢، قال محب الدين الطبري في خلاصة سير سيد البشر (٨٧/١): "هذا الأثر على شهرته لا يعرف له إسناد، وقال الغزي في الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث - (١/ ٦٤): "لا يعرف"، وفي المقاصد الحسنة للسخاوي - (٢١٠/١): "لا أعرفه".

٤- "خَيْرُكُمْ مَنْ لَم يَتْرُكْ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلاَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ كَلاًّ عَلَى النَّاسِ" [١].

٥- "حَسْبُكُمْ الْكَوْنُ مُعْجِزَةٌ"[٢].

٦- "إِنَّ الرَّائِدَ لاَ يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللهِ لَتَمُوْتُنَّ كَمَا تَنَامُوْنَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُوْنَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُوْنَ، وَإِنَّهَا الْجَنَّةُ أَبَدًا أَوِ النَّارُ أَبَدًا"[٣].

٧- خُطْبَةُ الْوَدَاعِ[٤] سَاقَهَا مِثْلَ سِيَاقِ الْجَاحِظِ لَهَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِيْنِ[٥]، وَابْنِ عَبْدِ رَبِّه الأَنْدَلُسِي فِي الْعِقْدِ الْفَرِيْدِ[٦]، وَفِي كِتَابِ نُوْرِ الْيَقِيْنِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَفِيْفِي الْبَاجُوْرِي، الْمَعْرُوْف بِالْشَّيْخِ الْخُضَرِيّ، وَلَمْ تَرِدْ فِي كُتُبِ الْسُّنَّةِ بِنَفْسِ الْسِّيَاقِ.

٨- (أَنْتُمْ كُفَلاَءُ عَلَى قَوْمِكُمْ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّيْنَ...)[٧].

٩- قُدُوْمُ الْجَارُوْدِ بْنِ الْعَلاَءِ وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَخْبِرْنِي عَمَّا أَضْمَرْتُ"[٨].

١٠- وَفْدُ كِنْدَةَ، وَفِيْهِ: فَقَالُوْا: " يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا خَبَّأْنَا لَكَ خِبْئًا فَمَا هُوَ؟ وَكَانُوْا خَبَّؤوا لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَيْنَ جَرَادَةٍ فِي ظَرْفِ سَمْنٍ،..."[٩].

١١- "مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلاَ غِيْبَةَ لَهُ". [١٠].

١٢- "الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ"[١١].

١٣- "قِصَّةُ عَلْقَمَةَ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْطِقَ بِالْشَّهَادَتَيْنِ عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ"[١٢].

١٤- "مَازَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِي بِالْنِّسَاءِ"[١٣].

---

(١) ص:٢٧، قال الألباني رحمه الله في " السلسلة الضعيفة " (٥٠١/٢): " إسناد موضوع "، نعيم بن سالم أورده هكذا في اللسان وقال (٢٨٨/٨): " قال ابن القطان: " لا يعرف " قلت: تصحف عليه اسمه وإلا فهو معروف مشهور بالضعف متروك الحديث وأول اسمه ياء مثناة من تحت ثم غين".

(٢) (الكتاب، ص:٣٣)، نسبه إلى النبي ﷺ وليس بحديث. ولم أجد من خرجه.

(٣) (الكتاب، ص:٣٦)، قال العلامة الألباني في تخريجه لفقه السيرة للغزالي - رَحِمَهُمَا اللهُ - ص (٩٧): "... فالإسناد مرسل ضعيف"، وضعفه الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة (١٤٢/١).

(٤) (الكتاب، ص:١١١- ١١٢).

(٥) ٣٢/٢.

(٦) ١٤٨/٤.

(٧) (الكتاب، ص:١١٧)، الحديث رواه ابن إسحاق في السيرة (٢٩٥/٢/ ابن هشام) عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٥٩٧)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٤٥٢)، عن شيخه محمد بن عمر الواقدي، عن خارجة بن عبد الله، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، كلاهما عن داود بن الحصين، عن محمود بن لبيد، به مرفوعًا.

وفي إسناده محمد بن عمر هو الواقدي: عالم بالسير متروك في الحديث، الجرح (٢٠/٨) المجروحين (٢٩٠/٢)، تهذيب الكمال (١٨٠/٢٦)، الميزان (٦٦٢/٣)، التهذيب (٣٦٣/٩)، التقريب (٦٢١٥/٨٨٢).

وابن أبي حبيبة: منكر الحديث، تهذيب الكمال ٣٨١/٨، التقريب ص١٩٨، من تكلم فيه وهو ثقة ص١٩٤. وفيه داود بن الحصين: لم يسمع من محمود بن لبيد، الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم ص١٥٥-١٥٩.

(٨) (الكتاب، ص:١٢٥)، سبل الهدى والرشاد (٦ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥)، وراجع: الإصابة (١ ص٢١٦ و٢١٧)، ولم أجد له أصلاً.

(٩) (الكتاب، ص:١٢٧)، أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) ١/ ٢٣٧- ٢٣٨، حديث رقم (١٩٠)، والسيوطي في (الخصائص): ٣٠٥/٢، عنه، وفيه الحكم بن ظهير متروك؛ قال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: تركوه منكر الحديث. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال الجوزجاني: ساقط، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات. وقال ابن حجر: متروك رمي بالرفض واتهمه ابن معين. (التاريخ الكبير: ٣٤٥/٢، الضعفاء الصغير: ص/٣١، الضعفاء والمتروكون: ص/٣١، الجرح والتعديل: ١١٨/٣، المجروحين: ٢٥٠/١، تهذيب الكمال: ٩٩/٧، التقريب: ١٧٥/١).

(١٠) (الكتاب، ص:١٥٩)، أخرجه ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق) (١٠٢)، وابن حبان في (المجروحين) (٤١٧/٢)، والبيهقي في الكبرى (٢١٤٤٣) باختلاف يسير. لخص الكلام عليه الزيلعي في (تخريج الكشاف) (٣٤٣/٤) قائلاً: "في إسناده ضعف وإن صح فيحمل على الفاسق المعلن بفسقه ".

ورواه القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في مسند الشهاب (١٩٩/٢) عن إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا العباس بن عبد الله، ثنا رواد بن الجراح، عن أبي سعد، به، ورواه ابن عدي في "الكامل" (٣٧٧/٣)، من حديث الربيع بن بدر، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك ﷺ. وأعله بأبان بن أبي عياش: وقال: هو مولى لأنس وهو متروك الحديث، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٩١/١)، وقال: فيه متروكان".

(١١) (الكتاب، ص:١٧٢)، موضوع: أخرجه الدولابي في (الكنى) (١٩١١)، والقضاعي في (مسند الشهاب) (١١٩)، والخطيب في (الجامع لأخلاق الراوي) (١٧٠٢)، وابن عدي في (الكامل) (٦٤/٨)، وفي إسناده: موسى بن محمد بن عطاء منكر الحديث ويسرق الحديث وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات ص٢٠٢، وذكره المقدسي في الفوائد الموضوعة ص١٢٠ رقم ١٤٧، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما أعرف هذا اللفظ بإسناد ثابت" أحاديث القصاص ص٩٠ رقم٧٠، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٥٩): "موضوع".

(١٢) (الكتاب، ص:١٧٢)، القصة غير صحيحة؛ ذكرها بسندها ابن الجوزي في الموضوعات ٨٧/٣، وفي سندها فايد أبو الورقاء وهو متروك الحديث وكان معدودًا من الوضاعين (تاريخ الدوري) ١٦٢/٣، ٢٤٢، التاريخ الصغير للبخاري٧٦/٢، ١٤٢، والكبير١٣٢/٧، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص٨٧، والكامل لابن عدي ١٣٨/٧، والتقريب ص٤٤٤).

وقال الشوكاني في " الفوائد المجموعة " (٢٣١): " وفي إسنادها متروك وكذاب، ولها طرق أخرى "، وعلق عليه المحقق – وهو الشيخ عبد الرحمن المعلمي – بقوله: " مدارها على المتروك، وهو فائد بن عبد الرحمن أبو الورقاء العطار ". وانظر تنزيه الشريعة ٢٩٦/٢.

(١٣) (الكتاب، ص:١٩١)، الحديث ضعيف رواه ابن منيع (المطالب العالية.١٦٧٦). وابن أبي الدنيا في (العيال.٤٨٣). من طريق:" عباد بن عباد، أخبرنا عبد الله بن هلال، قال: أخبرني صاحب لنا ثقة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

١٥- "اطْلُبُوْا الْرِزْقَ فِي خَبَايَا الأَرْضِ"[١].

١٦- "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي سُلْطَانِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ" (ص٢٣٩)[٢].

١٧- "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ " قَالُوْا: بَلَى يَا رَسُوْلَ اللهِ، قَالَ: "الَّذِي يَنْزِلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَجْلِدُ عَبْدَهُ"[٣].

١٨- "الأَمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لِأُمَّتِي"[٤].

١٩- " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُوْنَ عَلَيَّ الْمَوْتَ كَأَنَّهُ اسْتِنْكَارٌ مِنْكُمْ لِلْمَوْتِ، وَمَا تُنْكِرُوْنَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ، أَلَمْ أُنْعَ إِلَيْكُمْ وَتُنْعَى إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ؟ ..."[٥].

٢٠- "إِنَّ اللهَ حَفَّ الإِسْلاَمَ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ"[٦].

٢١- وَفِي الْبَابِ الْثَّالِثِ عَشَرْ، قَالَ: وَمِنَ الأَحَادِيْثِ مَا رَوَى الْدَّارَقُطْنِي، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "يَدُ اللهِ مَعَ الْشَّرِيْكَيْنِ مَالَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ...."[٧].

ثَالِثًا: لَمْ يُوْرِدْ أَيَّ مَصْدَرٍ لِمَا أَوْرَدَهُ مِنْ أَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ وَغَرِيْبِهَا وَتَفْسِيْرِهَا، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّهَ كِتَابَهُ عَنِ الْطُّوْلِ وَالاسْتِطْرَادِ، وَيَكُوْنَ كِتَابُهُ مَصْدَرًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَيُكْتَفَى بِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْسِّيَرِ الْكَثِيْرَةِ وَالْمُخْتَلِفَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

بِخِلاَفِ رُجُوْعِهِ وَاسْتِشْهَادِهِ بِأَقْوَالِ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ فَقَدْ نَسَبَهَا إِلَى كُتُبِهِمْ وَأَشْخَاصِهِمْ.

رَابِعًا: يَسُوْقُ النُّصُوْصَ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ بِتَصَرُّفٍ، وَلاَ يُشِيْرُ إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ، وَلَمْ يُشِرْ إِلَى هَذِهِ الْمَصَادِرِ فِي ثَبْتِ مَصَادِرِهِ الَّتِي صَدَّرَ بِهَا كِتَابَهُ، وَلَعَلَّ الْسَّبَبَ فِي تَصَرُّفِ الْمُؤَلِّفِ بِالْتَّغْيِرِ الْيَسِيْرِ عَلَى الْنُّصُوْصِ أَمْرَانِ:

الأَوَّلُ: قَدْ يَكُوْنُ أَصْلُ الْكِتَابِ غَيْرُ عَرَبِيّ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ نَقَلَ مِنْهُ بَعْدَ تَرْجَمَتِهِ بِنَفْسِهِ لِلْكِتَابِ، وَمَعْلُوْمٌ أَنَّ مُحَمَّدَ جَادَ الْمَوْلَى قَدْ دَرَسَ وَتَعَلَّمَ فِي انْجِلْتَرَا، وَيَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ.

الأَمْرُ الْثَّانِي: أَنَّ الْمُؤَلِّفَ إِذَا لَمْ يُشِرْ إِلَى الْقَائِلِ وَلاَ الْرَّادِ عَنِ الْشُّبْهَةِ فِي كِتَابِهِ، وَبَعْدَ الْرُّجُوْعِ لِلْمَصَادِرِ وَمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَدْ يَتَصَرَّفُ فِي نَقْلِ بَعْضِ هَذِهِ الْنُّصُوْصِ بِالْمَعْنَى الَّذِي لاَ يُغَيِّرُ الْمُرَادَ مِنْ أَصْلِ الْنَّصِّ وَفَحْوَاهُ، مَثَلاً[٨]:

١- الْبَيَانُ وَالْتَّبْيِينِ لِلْجَاحِظِ. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٢).

زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن". وقد ضعفه البوصيري، في الإتحاف (٣/ ١٠٤/ أ) حيث قال: "رواه أحمد بن منيع بسند ضعيف؛ لجهالة بعض رواته". (إتحاف الخيرة:٥٠٧٧). قلت: عبد الله بن هلال: لم يوثقه غير ابن حبان، وضعفه الأزدي. وشيخه: مجهول. وانظر: الثقات (٨/ ٢٣٩)، واللسان (٣/ ٣٧١).

(١) (الكتاب، ص:٢٣٤)، وهو منكر: أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٤٣١)، وأبو القاسم البغوي في حديث مصعب رقم (١) وأبو يعلى في مسنده (٤٣٨٤) والطبراني في الأوسط (٢٧٤/١) (٨٩٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٩٤) ومدار الحديث على هشام بن عبد الله وهو ضعيف. قال ابن حبان في المجروحين (٩١/٣):" يروي عن (هشام بن عروة) ما لا أصل له من حديثه، كأنه هشام آخر! لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد... " اهـ

وقال ابن الجوزي عن الحديث: قال ابن طاهر: لا أصل له. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥١٠/٥): منكر.

(٢) (الكتاب، ص:٢٣٩)، ضعيف: أخرجه الزبير بن بكار الأخبار الموفقيات ح٢٩، قال: حدثني المدائني، قال: حج سليمان بن عبد الملك فوافى طاووسًا بمكة، فقيل لطاووس: حدث أمير المؤمنين، فقال طاووس: إن رسول الله ﷺ، قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه». والحكيم الترمذي في النوادر (١٢٤/٢).

والحديث فيه إرسال وانقطاع، فطاووس لم يدرك النبي ﷺ فالحديث مرسل، كما أن طاووسًا توفي في ١٠٦هـ، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني ولد سنة ١٣١هـ (العبر للذهبي ٣٠٨/١، والشذرات ٥٤/٢)، وهذه علة أخرى وهي الانقطاع والله أعلم.

(٣) (الكتاب، ص:٢٤٠)، أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٠٠/٤) ح٧٧٠٦ وفيه: محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري، الخراساني، وهو متروك: الجرح والتعديل (٨/ ١٠٣ – ١٠٤)، والتقريب (٢/ ٢٠٩ رقم ٧١٧)، والتهذيب (٩/ ٤٦٤ - ٤٦٥ رقم ٧٤٩). وفي سنده أيضاً: مصادف بن زياد المديني، وهو مجهول -كما في الميزان (٤/ ١١٨ رقم ٨٥٥٤)، فالحديث ضعيف جداً بهذا الإسناد لشدة ضعف محمد بن معاوية، وجهالة مصادف بن زياد.

(٤) (الكتاب، ص:٢٤٢): أخرجه الخطيب في "التاريخ" (٢/ ٥١-٥٢)، والديلمي في "مسند الفردوس" (١/ ٢/ ٣٢١) من طريق: محمد بن إسماعيل بن هارون الرازي، وقال الخطيب: "هذا حديث باطل، لا أعلم جاء به إلا محمد بن إسماعيل الرازي، وكان غير ثقة".

(٥) (الكتاب، ص:٢٧٠)، أخرجه سيف بن عمر في "الفتوح" كما في "جامع الآثار" (٣٣٢/٦) فقال: حدثني سعيد بن عبد الله، عن أبيه، فذكره. وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" كما في مختصره لابن منظور (٣٨٠/٢)، والحديث ضعيف: قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤٥٥/٤): حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه، وذكر صدر الحديث ثم قال: هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلاً.

وأبوه: عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعي. روى عن ابن مسعود، قال أبو حاتم فيه وفي أبيه سعيد: ليس بالقوى.

(٦) (الكتاب، ص: ٤٠٢): ذكره السبكي في أحاديث الإحياء التي لا أصل لها (ص٢٧)، المغني عن حمل الأسفار (٦٠٤/١) (رقم: ٢٢٩٧). وقال العراقي: لم أقف له على أصل، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، (ص ٨٣٩)، (رقم: ٢).

(٧) (الكتاب، ص:٤٢٥)، ضعيف معل: أعله الدارقطني نفسه، فقال: يرويه ابن حيان التيمي واختلف عنه: فوصله أبو همام الأهوازي، عن أبي حيان، عن أبيه، وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، وخالفه جرير بن عبد الحميد وغيره: رووه عن أبي حيان، عن أبيه، مرسلاً وهو الصواب. العلل، (٧/١١) (رقم: ٢٠٨٤)

(٨) انظر البحث: المبحث الثالث: موارده التي أخذ عنها في كتابه، ص١٦.

٢- الْمَوَاهِبُ اللَّدُنِيَّةِ بِالْمِنْحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْقَسْطَلاَّنِي الْمِصْرِيّ. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٣).

٣- أَعْلاَمُ النُّبُوَّةِ لِلْمَاوَرْدِي. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٦، ٢٠، ٢٧).

٤- الْشَّمَائِلُ الْشَّرِيْفَةُ لِلْتِّيْسِيُوْطِي. أَخَذَ عَنْهُ (ص٢٦).

٥- سِيْرَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لسير وليم موير. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٠١).

٦- الأَبْطَالُ، لتوماس كارليل. أَخَذَ عَنْهُ (١٠٢).

٧- جَمْهَرَةُ خُطَبِ الْعَرَبِ لِأَحْمَدَ زَكِي صَفْوَتْ. أَخَذَ عَنْهُ (ص١١١).

٨- أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّيْنِ لِلْمَاوَرْدِي. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٣٦) مُعْظَمَ الْمَقْصِدِ الْثَّانِي عَشَر مِنَ الْبَابِ الْسَّابِعِ.

٩- مِفْتَاحُ دَارِ الْسَّعَادَةِ لِلإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ. أَخَذَ عَنْهُ (ص١٤٥-١٥٠).

خَامِسًا: قَوْلُهُ: إِنَّ فَاطِمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَامَتْ بِنَصِيْبٍ وَافِرٍ فِي الْدَّعْوَى إِلَى إِسْنَادِ الْخِلاَفَةِ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه[1]. وَهَذَا كَلاَمٌ بَاطل لا أَصْلَ لَهُ، فَلَمْ يَأْتِ بِهَذَا نَقْلٌ صَحِيْحٌ أَو ضَعِيْفٌ.

سَادِسًا: عَدَّ فِي الأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ الْنَّبِيِّ ﷺ مَا هُوَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ وَالْمَزَايَا الاجْتِمَاعِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا تُؤَيِّدُ الْدَّلِيْلَ الْعَقْلِيّ فِي جُمْلَتِهَا، كَاشْتِهَارِهِ ﷺ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ[2].

حَيْثُ قَالَ: "وَقَد وَضَحَ لِمَنْ عَاشَرُوْهُ، وَلِمَنْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَتُهُ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ بِحَقِيْقَةِ الْمَعْرُوْفِ وَالْمُنْكَرِ، وَأَنَّهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ، وَأَبَرُّ الْنَّاسِ بِالْنَّاسِ، وَأَصْدَقُهُمْ فِيْمَا يَقُوْلُ، وَأَقْوَمُهُمْ فِيْمَا يَفْعَلُ"[3].

وَذَكَرَ ضِمْنَ ذَلِكَ: شِدَّةَ خَوْفِهِ مِنْ عَظَمَةِ رَبِّهِ وَنِسْبَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ[4].

سَابِعًا: ذَكَرَ قَوْلَ مُحْيِي الْدِّيْنِ بْنِ الْعَرَبِيّ[5]: "إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الَّذِي أَعْطَى جَمِيْعَ الأَنْبِيَاءِ وَالْرُّسُلِ مَقَامَاتِهِمْ فِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ حَتَّى ظَهَرَ بِجِسْمِهِ ﷺ "[6].

وَهَذَا مِنْ أَقْوَالِ الْصُّوْفِيَّةِ، وَهُمْ يَسْتَدِلُّوْنَ بِهِ عَلَى وُجُوْدِ الْنَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَيَسْتَدِلُّوْنَ بِهِ عَلَى رِفْعَةِ مَنْزِلَةِ الأَوْلِيَاءِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ[7].

وَلَمْ يُعَلِّقْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ فِعْلِهِ أَنَّهُ يَسْتَنْكِرُهُ، بَلْ نَعَتَ مُحْيِي الْدِّيْنِ بْنِ الْعَرَبِي بِالْشَّيْخِ الأَكْبَرِ.

ثَامِنًا: عِنْدَ سَرْدِهِ لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ خَالَفَ فِي بَعْضِهَا تَوَارِيْخَ بَعْضِ الْحَوَادِثِ الْصَّحِيْحَةِ وَالْثَّابِتَةِ، فَمَثَلاً:

١- ذَكَرَ حَرْبَ الْفِجَارِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْنَّبِيَّ ﷺ حَضَرَهَا وَعُمْرُهُ عِشْرُوْنَ سَنَةً.

قَالَ الْسُّهَيْلِيّ: "وَالْفِجَارُ بِكَسْرِ الْفَاءِ، عَلَى وَزْنِ: قِتَال، وَكَانَتْ الْفِجَارَاتُ فِي الْعَرَبِ أَرْبَعَةً، ذَكَرْهُنَّ الْمَسْعُوْدِي، وَآخِرُهُنَّ فِجَارُ الْبَرَضِ هَذَا. وَكَانَ الْقِتَالُ فِيْهِ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ: يَوْمُ شَمْطَةَ، وَيَوْمُ الْعَبْلاَءِ، وَهُمَا عِنْدَ عُكَاظٍ، وَيَوْمُ الْشُّرْبِ - وَهُوَ أَعْظَمُهَا يَوْمًا - وَهُوَ الَّذِى حَضَرَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وَفِيْهِ قُيِّدَ: رَئِيْسُ قُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ: - وَهُمَا حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَأَخُوْهُ سُفْيَانُ - أَنْفُسَهُمَا لِئَلاَّ يَفِرّا..."[8].

---

(١) ص ١٨٨.

(٢) ص: ٧٨ وما بعدها.

(٣) ص: ٧٩.

(٤) ص: ٨٠.

(٥) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي العربي، نزيل دمشق، من غلاة الصوفية، سكن الروم مدة، وكان ذكياً كثير العلم وكتب لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وعمل الخلوات وكتب شيئاً كثيراً في التصوف على طريقة أهل الاتحاد، وقد عظَّمه جماعة وذمه كثيرون. توفي سنة ٦٣٨ وله كتب كثيرة منها كتاب "فصوص الحِكَم". قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقد علم المسلمون واليهود والنصارى بالاضطرار من دين المسلمين، أن من قال عن أحد من البشر: إنه جزء من الله، فإنه كافر في جميع الملل، إذ النصارى لم تقل هذا، وإن كان قولهم من أعظم الكفر، لم يقل أحد: إن عين المخلوقات هي أجزاء الخالق، ولا إن الخالق هو المخلوق، ولا إن الحق المنزه هو الخلق المشبّه".

قال أبو زرعة العراقي رحمه الله:

" لا شك في اشتمال" الفصوص" المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك " فتوحاته المكية "، فإن صحّ صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته: فهو كافر مخلد في النار بلا شك".

انظر: "سير أعلام النبلاء": ٢٣/٤٨-٤٩، ميزان الاعتدال للذهبي ٦٥٩/٣، لسان الميزان لابن حجر ٣١١/٥، "عقيدة ابن عربي وحياته " لتقي الدين الفاسي (ص١٥ ، ١٦).

(٦) ص ٢٤٧.

(٧) انظر: التصوف لإحسان إلهي ظهير: ص١٨٦.

(٨) الروض الأنف: ١/ ٣٢١.

وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ شَهِدَهَا، وَلَكِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ شُهُوْدِهِ ﷺ حِلْفَ الْمُطَيِّبِيْنَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيِّبِيْنَ مَعَ عُمُوْمَتِي وَأَنَا غُلاَمٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النِّعَمْ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ"، وَهُوَ حِلْفُ الْفُضُوْلِ[١].

وَكَانَ حِلْفُ الْفُضُوْلِ مُنْصَرَفَ قُرَيْشٍ مِنَ الْفِجَارِ[٢]، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُؤْمَذَاكَ فِي الْعِشْرِيْنِ مِنْ عُمُرِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "... هَاجَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ وَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ ابْنُ عِشْرِيْنَ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْفِجَارِ بِمَا اسْتَحَلَّ فِيْهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ: كِنَانَةَ وَقَيْسَ عَيْلاَنَ، مِنَ الْمَحَارِمِ بَيْنَهُمْ..."[٣]

٢- قَضِيَّةُ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ: ذَكَرَ أَنَّهُ انْقَطَعَ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا.

وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ انْقَطَعَ أَيَّامًا، وَهَذَا الَّذِي حَرَّرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي، حَيْثُ قَالَ: " وَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ مُدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُوْرَةِ كَانَتْ أَيَّامًا"[٤].

٣- ذَكَرَ فِي ثَنَايَا حَدِيْثِهِ عَنِ الأَحْدَاثِ الَّتِي حَدَثَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ[٥]: "فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدٌ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ فَأَسْلَمُوْا".

وَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّ وَفْدَ نَصَارَى نَجْرَانَ إِنَّمَا وَفَدُوْا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، لاَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

تَاسِعًا: لَمْ يَسْتَقْصِ أَحْدَاثَ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعْتَذَرَ لَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَدَفُهُ مِنْ تَأْلِيْفِهِ: الاسْتِقْصَاءُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَالِجَ قَضَايَا شَهِدَهَا فِي عَصْرِهِ؛ وَسَبَبُهَا بُعْدُ النَّاسِ وَإِعْرَاضُهُمْ عَنْ سِيْرَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَكَانَ فِي ثَنَايَا حَدِيْثِهِ يُعَالِجُ تِلْكَ الْقَضَايَا مُسْتَشْهِدًا بِمَا يَرَى مُنَاسَبَتَهُ مِنْ أَحْدَاثِ السِّيْرَةِ، وَلِذَا نَجِدُهُ اسْتَفَاضَ فِي بَعْضِ الْقَضَايَا، كَقَضِيَّةِ الْوَحْيِ، وَالشُّبَهِ الَّتِي أُثِيْرَتْ حَوْلَ التَّعَدُّدِ، وَالْحِجَابِ، وَالرِّقِّ، وَنَحْوِهَا.

وَلِذَلِكَ لَمْ تَأْتِ أَحْدَاثُ السِّيْرَةِ فِي الْقِسْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْكِتَابِ مُرَتَّبَةً، وَإِنَّمَا يَعْرِضُ لِلْفِكْرَةِ الَّتِي يُرِيْدُ تَقْرِيْرَهَا ثُمَّ يَذْكُرُ مَا يُؤَيِّدُهَا مِنْ شَوَاهِدِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

هَذِهِ بَعْضُ سَلْبِيَّاتِ الْكِتَابِ، وَهِيَ لاَ تُؤَثِّرُ فِي الْكِتَابِ، وَلاَ فِي جَوْدَتِهِ، وَأَتَمَنَّى أَنْ يُعَادَ طَبْعُهُ بِتَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ، وَتَنْقِيْحٍ وَدِرَاسَةٍ وَتَخْرِيْجٍ لِكُلِّ مَرْوِيَّاتِهِ وَأَخْبَارِهِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُحَدِّثِيْنَ وَعُلَمَاءِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ وَتَعْرِيْفِ الأَجْيَالِ بِهَذَا الْكِتَابِ الْقَشِيْبِ؛ لِأَنَّهُ يُعَدُّ مِنْ أَحْسَنِ كُتُبِ السِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ، مَعَ جَوْدَةِ الْعَرْضِ وَالاخْتِصَارِ.

الْخَاتِمَةُ:

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمن يُضْلِلْ فلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذَا التَّوْفِيْقِ وَهَذَا الْفَضْلِ، وَإِنْ خَالَجَهُ بَعْضُ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ إِلاَّ أَنَّهُ بِتَوْفِيْقِ اللهِ تَعَالَى كَانَ الْخَوْضُ فِي غِمَارِ هَذَا الْبَحْثِ سَهْلاً وَمُيَسَّرًا فَلَهُ الْحَمْدُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ.

وَلَقَد اعْتَنَيْتُ فِيْهِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ عَلَى دِرَاسَةِ وَعَرْضِ وَنَقْدِ كِتَابِ الأُسْتَاذِ: مُحَمَّدُ أَحْمَدَ جَادَ الْمَوْلَى – رَحِمَهُ اللهُ - وَالَّذِي تَعَرَّضَ فِيْهِ المؤَلِّفُ لِسِيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَنَاوِلاً فِيْهِ مَوَاقِفَ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُوْلِ ﷺ، مُنْذُ وِلاَدَتِهِ وَحَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ.

مَعَ اسْتِنْبَاطِ جَمِيْلٍ لِلدُّرُوْسِ وَالْمَفَاهِيْمِ وَالْقِيَمِ، مُعَلِّقًا عَلَى كُلِّ ذَلِكَ بِأُسْلُوْبٍ أَدَبِيٍّ جَمِيْلٍ، وَسَبْكٍ لَطِيْفٍ، مُبَيِّنًا – رَحِمَهُ اللهُ - الْمَنْهَجَ الإِسْلاَمِيَّ الصَّحِيْحَ الَّذِي تَقُوْمُ عَلَيْهِ الْبَشَرِيَّةُ مِن مَحَبَّتِهِ ﷺ وَطَاعَتِهِ، وَأَخْلاَقِهِ، وَوَصْفِهِ وَالْبِشَارَةِ بِهِ، وَخَاتِمَةِ رِسَالَتِهِ...

لَقَد كَانَت الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ سَائِدَةً قُرُوْنًا تَقُوْدُ الأُمَمَ الْبَشَرِيَّةَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ وَنُوْرٍ مِنَ اللهِ، وَتُسَيْطِرُ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ بِالْعَدْلِ وَالإِصْلاَحِ وَجَمَالِ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا.

(١) السيرة النبوية الصحيحة أكرم ضياء العمري ١١١/١.

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة ٢١٣/١.

(٣) سيرة ابن هشام ١٨٦/١.

(٤) فتح الباري ٧١٠/٨.

(٥) ص: ٢٦١.

كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ بِإِدْرَاكِهَا لِسِيْرَتِهِ ﷺ وَتَحْقِيْقِ مَدْلُوْلِ ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ.

لَقَد حَاكَ المستشرقون بِكُلِّ مَا يَمْلُكُون مِن سموم الشُبُهَاتِ وَشَهَوَاتٍ مِن أَجْلِ هَدْمِ هَذِهِ السِّيْرَةِ الْعَطِرَةِ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِمُدَّةٍ وَجِيْزَةٍ وَلَكِن لِزَمْنٍ طَوِيْلٍ، فالمستشرقون يُدْرِكُون جَيِّدًا مَدَى خُطُوْرَةِ هَذَا الاتِّبَاعِ لِمَنْهَجِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِن هُنَا بَدَأَ التَّشْكِيْكُ وَالْهَمْزُ وَاللَّمْزُ لِشَخْصِهِ ﷺ أَوَّلاً، ثُمَّ لِمَنْهَجِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

وَقَدِ انْحَرَفَ جَمْعٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَنْ مَنْهَجِ النُّبُوَّةِ، وَاتَّبَعُوْا شُبُهَاتِ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَانْزَلَقُوْا فِي دَرَكَاتِ الْغِوَايَةِ، وَنَجِدُ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يَتَنَازَلْ عَنْ مَنْهَجِهِ وَطَرِيْقَتِهِ الَّتِي اتَّبَعَهَا فِي تَأْلِيْفِهِ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلاَثَةِ مَحَاوِرٍ، وَهِيَ كَالتَّالِي.

الْمِحْوَرُ الأَوَّلُ:

الْمُحَافَظَةُ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ مِنْ خِلاَلِ نُصُوْصِ الْكِتَابِ وَالْسُّنَّةِ، وَطَرْحُهُ الْوَاضِحُ لِلْمَسَائِلِ وَأَنَّ مَنْهَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَسِيْرَتَهُ الْعَطِرَةَ، وَحُسْنَ تَعَامُلِهِ مَعَ الْقَرِيْبِ وَالْبَعِيْدِ وَالْصَّدِيْقِ وَالْعَدُوِّ، هِيَ الْمُنْقِذُ لِلأُمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

الْمِحْوَرُ الثَّانِي:

أَوْرَدَ كَثِيْرًا مِنْ أَقْوَالِ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ وَالْمَدْرَسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُنْصِفَةِ، وَكَذَلِكَ أَوْرَدَ جُمْلَةً مِنَ الأَقْوَالِ الْغَيْرِ مُنْصِفَةٍ مُتَنَاوِلاً لَهَا بِالرَّدِّ وَالْتَّفْنِيْدِ، وَمُنَاقَشَتُهَا مُنَاقَشَةً عِلْمِيَّةً دَقِيْقَةً.

الْمِحْوَرُ الْثَّالِثُ:

عِنْدَمَا نَقْرَأُ مَنْهَجَهُ الْعِلْمِيِّ فِي بَيَانِ جَوَانِبِ الْسِّيْرَةِ الْعَطِرَةِ، وَالْرَّدِّ عَلَى الْشُّبُهَاتِ، نَلْمَسُ غَيْرَتَهُ الْشَّرْعِيَّةَ وَحِسَّهُ الإِسْلاَمِيِّ الْمُرْهَفَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ نَجِدْهُ يَحِيْدُ عَنِ الْنُّصْحِ الْصَّادِقِ، وَالأَدَبِ الْجَمِّ، فِي تَحْلِيْلِهِ لِكَثِيْرٍ مِنَ الْنُّصُوْصِ، وَلَمْ يُبَالِغْ فِي الْرَّدِّ عَلَيْهِمْ أَوْ تَسْفِيْهِهِمْ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي خَاتِمَةِ هَذَا الْبَحْثِ أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِهِ عَلَى انْتِهَائِي مِن هَذَا الْبَحْثِ، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيْزَانِ حَسَنَاتِي، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَن الْخَطَأ وَالزَّلَلِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِلْمُؤَلِّف وَيَرْحَمَهُ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ.

﴿١٦١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ تَعْبُدُونَ

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

المراجع

١- الإتحافات الربانية بشرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، أحمد عبد الجواد دومي، بلا. ط (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١م).

٢- أحاديث الأحياء التي لا أصل لها، لتاج الدين السبكي، مكتبة هجر، تاريخ النشر ١٤١٥هـ.

٣- أخلاق النبي وآدابه لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد المعروف بأبي الشيخ. ت: صالح بن مُحَمَّد الونيان. دار المسلم للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى،١٩٩٨م.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٦- أضواء البيان للأمين الشنقيطي نشر وتوزيع وطبع مكتبة ابن تيمية.

٧- أضواء على السيرة النبوية ومقارنة بين الأديان: عبد الحميد جودة السحار، نشر مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

٨- أضواء على دراسة السيرة، لصالح الشامي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩- الأعلام، خير الدين الزركلي. نشر دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة سنة١٩٨٠.

١٠- إغاثة اللهفان ابن قيم الجوزية تحقيق د. السيد الجميل، دار الحديث القاهرة.

١١- الأنوار في شمائل النبي المختار لمحيي السنة، أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي. ت: إبراهيم اليعقوبي. دار المكتبي - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٢- أوجز السير لخير البشر، أحمد بن فارس اللغوي، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، عدد ٤، مجلد ٢، ١٩٧٣م.

١٣- البداية والنهاية لابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي الطبعة الأولي سنة ١٩٧٧م

١٤- البداية والنهاية، لابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٥- تاريخ الإسلام، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م).

١٦- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢. سنة ١٣٨٧هـ.

١٧- تاريخ بغداد، للخطيب، أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٨- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، طبع دار إحياء التراث العربي.

١٩- التعريفات، الجرجاني، ط أولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠- تفسير الإمام الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن ط الثانية سنة ١٣٧٣هـ

٢١- تفسير القرآن العظيم، أبن كثير، ط أولى ١٤١٤هـ، مكتبة دار الفيحاء دمشق.

٢٢- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة بيروت، ط الثانية ١٩٧٥م.

٢٣- تهذيب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤/١٩٨٤م.

٢٤- تهذيب اللغة. لأبي منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ). دار الكتاب العربي ١٩٦٧ القاهرة.

٢٥- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، ط٣، نشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، سنة ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

٢٦- الثقات، لأبي حاتم مُحَمَّد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٢٧- الجامع الصحيح، للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري (ت سنة ٣٥٦هـ)، رقم كتبه وأبوابه: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٤٠٠هـ.

٢٨- الجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت سنة ٢٧٥هـ)، تحقيق وتخريج: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، طبع دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٨هـ.

٢٩- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي دار الحديث الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ

٣٠- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ط١٤١٥هـ - ١٩٩٥ - دار الكتاب المصري.

٣١- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

٣٢- جلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على مُحَمَّد خير الأنام تحقيق وتخريج يحي الدين مستو مكتبة دار التراث ط ١٤٠٨هـ ابن قيم الجوزية

٣٣- جوامع السيرة، علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس وناصر الدين الأسد، بلا. ط (مصر، دار المعارف، ١٩٥٨م).

٣٤- حادي الأرواح لابن القيم تحقيق وتعليق مصطفي أبو النصر الشلبي مكتبة السوادي للتوزيع ط ١٤٠٨هـ

٣٥- حياة أعظم الرسل ﷺ، مُحَمَّد عطية الأبراشي، دار مصر للطباعة.

٣٦- حياة مُحَمَّد ﷺ د.مُحَمَّد حسين هيكل مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط الثالثة عشر ١٩٦٨.

٣٧- خاتم النبيين ﷺ : مُحَمَّد أبو زهرة، مطبعة دار القلم، مصر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٨- خصائص أهل السنة تأليف أحمد فريد مؤسسة قرطبة الهرم ـ حسن عباس

٣٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، نشر دار الفكر في بيروت.

٤٠- دراسة تحليلية لشخصية الرسول مُحَمَّد ﷺ: مُحَمَّد قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤١- دراسة في السيرة، عماد الدين خليل ط الثالثة عشر ١٩٩١م، دار النفائس، بيروت.

٤٢- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبدالبر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٣- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة ـ للشيخ ناصر الدين الألباني مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٤٤- دلائل النبوة، أبو بكر جعفر بن مُحَمَّد بن الحسن الفرياني (ت ٣٠١هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، (مكة المكرمة، دار حراء ، ١٩٨٦م).

٤٥- دلائل النبوة، للبيهقي، أحمد بن الحسن (ت ٤٥٨هـ).

٤٦- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: مُحَمَّد رواس قلعجي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٤٧- رواة مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات لمطاع الطرابيشي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٨- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، تأليف أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي، علق عليه ووضع حواشيه مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٤٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم مُحَمَّد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٥٠- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد للإمام مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥١- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني نثر المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولي

٥٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ـ السعودية ، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٣- السنة قبل التدوين، للدكتور مُحَمَّد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٥٤- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي المكتب الإسلامي ط ١٤٠٥/٤هـ مصطفي السباعي

٥٥- سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٥٦- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعف السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق عزت عبيدالدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ط١، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٥٧- سنن الحافظ أبي داود. إعداد عزت عبيد دعاس ، دار الحديث حمص الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٥٨- السنن الكبرى. الحافظ النسائي، تحقيق د.عبدالغفار البنداري: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٥٩- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيقهي (٤٥٨هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آبادر، الدكن، الهند، ط١، ١٣٥٢هـ.

٦٠- سنن النسائي "المجتبى"، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، عناية عبدالفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، حمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، بيروت، الرسالة، ط٣، ١٤١٣هـ.

٦٢- السيرة الحلبية، ج١، لبرهان الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد (ت ١٠٤٤هـ)، مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

٦٣- السيرة النبوية. ابن هشام. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥/١٩٥٥.

٦٤- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٦٥- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لمحمد مُحَمَّد أبو شهبة دار القلم دمشق سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٦- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لعبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٦٧- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض المملكة العربية السعودي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٨- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة قراءة جديدة، لمحمد الصوياني مؤسسة الريان للطبعة والنشر لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٩- السيرة النبوية لابن إسحاق، "حققها" وعلق عليها وخرج أحاديثها أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.

٧٠- السيرة النبوية للحافظ ابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة بيروت ١٩٧٦.

٧١- شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، نشر دار الفكر في بيروت سنة ١٣٩٨هـ.

٧٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

٧٣- الشمائل المحمدية والخصائل الصفوية للإمام أبي عيسى الترمذي تحقيق مُحَمَّد عبدالعزيز الخالدي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٤- صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية، لمحمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن تيمية للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.

٧٥- صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي طبع بدار النفائس الأردن، الطبعة الثانية سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٦- صحيح السيرة النبوية للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٧٧- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث الكتب العربية، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٥هـ، عيسى البابي الحلبي.

٧٨- صحيح معجزات النبي ﷺ لأبي عمر مُحَمَّد عبد الملك الزغبي والدكتور إسلام عبد الحميد دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع مصر الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٩- الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد) لابن سعد مُحَمَّد بن سعد بن منيع البصري الزهري المتوفى سنة ٢٣٠هـ، نشر دار صادر في بيروت.

٨٠- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف أبي الفتح مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سيد الناس اليعمري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه مُحَمَّد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ودار ابن كثير بدمشق وبيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، ط. السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ .

٨٢- الفصول في اختصار سيرة الرسول، لابن كثير، تحقيق مُحَمَّد العيد الخطراوي، ومحي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٤٠٠م.

٨٣- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة.

٨٤- كتاب الطبقات. خليفة بن خياط رواية أبي عمران موسى بن زكرياء التستري. تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري. دار طيبة، الرياض . ط ٢، ١٤٠٢/١٩٨٢.

٨٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧م)، بلا.ط (بيروت، دار الفكر، د.ت).

٨٦- لسان العرب، ابن منظور، ط أولى ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ، دار صادر بيروت .

٨٧- المجروحين من المحدثين، لابن حبان، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط أولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن سليمان الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٨٩- مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام جمع عبد الرحمن بن قاسم مطابع الرياض الطبعة الأولي سنه ١٣٨٢م

٩٠- مختار الصحاح، للرازي مُحَمَّد بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.

٩١- مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين للدكتور أكرم ضياء العمري.

٩٢- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ط أولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٩٣- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، طبع بإشراف د. عبدالله عبدالمحسن التركي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومجموعة من المحققين، طبع مؤسسة الرسالة في بيروت (١٤١٣-١٤٢١هـ).

٩٤- مصادر السيرة النبوية وتقويمها، لفاروق حمادة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٩٥- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ للدكتور صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٩٦- مغازي ابن إسحاق. تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٩٧- المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، جامعة أكسفورد، لندن، ١٩٦٦م.

٩٨- مغازي موسى بن عقبة لمحمد باقشيش أبو مالك منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير المغرب.

٩٩- المغني عن حمل الأسفار، لأبي الفضل عبد الرحيم العراقي، اعتنى به: أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٠٠-منهج المحدثين في النقد، دراسة تأصيلية، د. حافظ بن مُحَمَّد الحكمي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٠١-منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد بن عبد الرحمان الرومي ط الرابعة ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

١٠٢-منهج نقد المتن عند علماء الحديث، تأليف: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، دار الفتح للدراسات والنشر الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

١٠٣-المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد القسطلاني، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٠٤-الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه وعلق عليه، مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب طبع عام ١٣٧٠هـ.

١٠٥-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٠٦-النور الخالد مُحَمَّد ﷺ مفخرة الإنسانية، مُحَمَّد فتح الله كولن ط أولى ١٩٩٩، دار النيل مؤسسة الرسالة.

محمد المثل الكامل

(Muhammad, peace be upon him, the perfect example) presented and criticized

Abstract

Authors' curricula differed in writing the biography of the Prophet through the ages, and in later times was writing on how old an account of the events of the Prophet's biography according to chronological order on, and the authors saw a change in the presentation of the Prophet's biography as required by the case of people in the present era on, to reach To them are the events of the prophetic narrative in a modern way that is close to understanding, and interesting to the minds, The rear by generations, and the benefit of the distal and proximal, through the analysis of the events, and connecting elements to each other, was among the thousand on that vein: the book (Muhammad ρ full ideals). I have class Author (Professor: Mohamed Ahmed Gad) This book, along the lines of Badi between the books, and perhaps his prized among historians in this method of classification, and the development of two books:

The first of them: "Muhammad - the perfect parable." And the other: "Muhammad perfect character." He dealt with them about the positions of the Messenger's life, from his birth until his death. Having encountered books accepted was not expected by his contemporaries of the leaders of culture in the Arab and Muslim world, and instantly spread widely began to intellectuals and historians spin on woven, and Aguetvon impact on the composition and classification, especially in the field of Islamic general history, and admonishing Biography of the Prophet Muhammad in particular.

This book was released from the world of books, Cairo, 1418 E - 1998, and is located in 472 pages, in a huge volume, and issued him far more than three editions, and achieved high sales, as mentioned by the author in his introduction, he said: "When the printed book," Muhammad ε The perfect proverb "It was printed in its first form.

And his method in his book: analysis of the personality of the Prophet ρ, and what it involved himself from the greatness and genius and guidance, we find that follow the analytical method, the descriptive approach in the presentation of the biography of the Prophet.

Key words: Muhammad - Parable - Biography of the Prophet - Analysis of events - Criticism of texts - Classification.